

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٤ ● شوال ١٤٠٢ هـ ● اغسطس ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد :

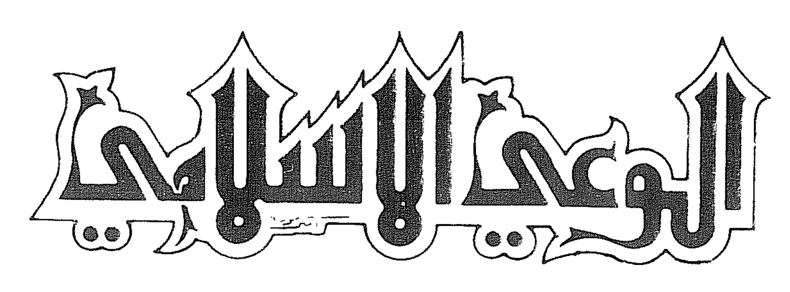
رسالة الصيام والزكاة

ومجلة براعم الايمان

قال الله تعالى في سورة آل عمران : ١٣٣

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٤ ● شوال ١٤٠٢ هـ ● اغسطس ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

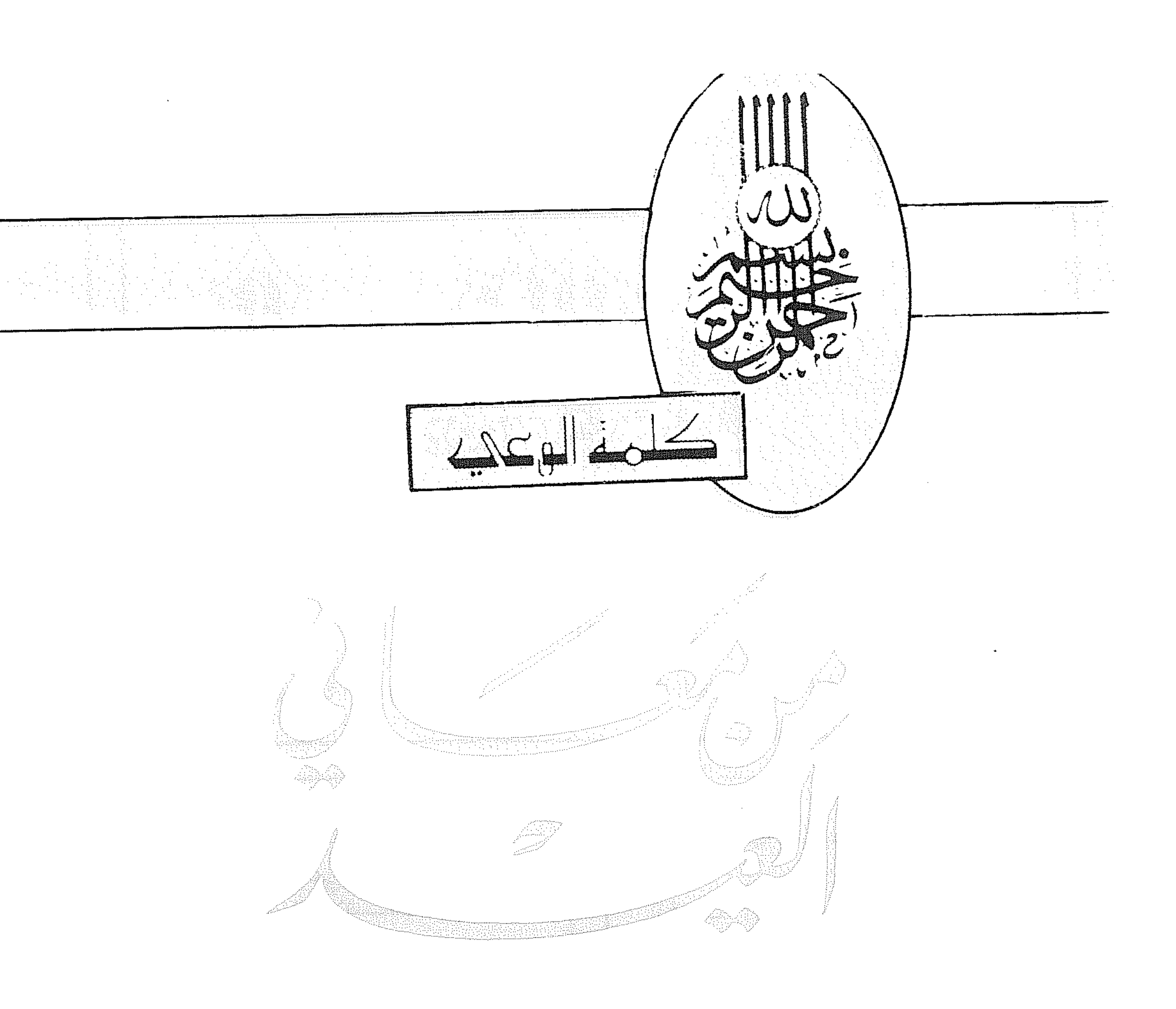
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● **الثمن** ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



جاء الاسلام وفي الناس عادات وتقاليد فكان شأنه مع هذه العادات وتلك التقاليد ان يقر منها الصالح الذي يتفق مع تعاليمه الكريمة ، وان يرفض ما عدا ذلك .

ولما كانت الاعياد سنة فطرية وطبيعة انسانية . يتخذها الناس ترفيها عن النفوس بعد كفاحها في معترك الحياة وشئون العيش ، او تذكيرالها بحادث محبب ، فقد قبل الاسلام مبدأ اتخاذ الاعياد ، ولكنه نظمها وسار بها في طريق الاعتدال ، وجعلها تجمع بين اللهو البريء الذي لا يخدش عرضا ولا يمس حرمة ، والمعاني السامية التي تقود المسلمين الى مراقي المجد والعزة .

لما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ، ووجد

الانصار يلعبون ويمرحون في يومين ورثوا عن آبائهم واجدادهم اتخاذهما عيدين . قال لهم : قد ابدلكما الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى .. وهما يومان ارتبط بهما في تاريخ الاسلام وفرائضه ما جعلهما موضع الاعظام والاكبار ، اذ كل منهما يأتي بعد اداء المسلمين لركن من اركان الاسلام .

عيد الفطر يتلو اداء فريضة الصيام في شهر رمضان من كل عام .. وعيد الاضحى يتلو اداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام في كل عام .

والعيد يوم فرح وسرور ، لانه يعقب الانتصار على النفس واخضاعها لطاعة الله . ولكن النظرة الى العيد تختلف بين الصغار والكبار .. فالصغار لا يعنيهم في العيد سوى لبس الجديد ، وتعمير الجيوب ، واللهو واللعب لان احساسهم الذاتي قاصر لا يمتد خارج نفوسهم ، ولا يشعر بحال غير حالهم ، وهم في ذلك لا حرج عليهم .

أما الكبار فالعيد بالنسبة لهم مخبر لا مظهر ، ومعنى لا مادة . تتسع في نفوسهم دائرته فتشمل الاقارب والجيران واهل الحي .. بل تمتد وتمتد حتى تضم كل انسان يشترك معهم في عقيدة الايمان ، وتصله بهم الامال والالام . فهم باحساسهم الصادق ، وشعورهم الحي يعيشون ـ يوم العيد كغيره من الايام ـ مع كل من ارتبط معهم برباط العقيدة بشعور الاخوة واحساس المودة ، لان الاسلام علمهم ان المسلمين جسد واحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .

واذا وجد بين المسلمين من الكبار العقلاء من يمرح في يوم

العيد ، ويتيه بما يملك او بما يلبس ، متناسيا اخوانه المحرومين من بهجة العيد ، فليس هؤلاء الكبار الا صغار في احساسهم وشعورهم ، بل وفي ايمانهم !!

ان عيد الفطر هذا العام يأتي كأعياد مضت ، والمسلمون يعيشون مأساة الخطر الجسيم على كيانهم ومستقبلهم .. يعيشون مأساة اغتصاب الصهيونية لجزء عزيز من الوطن الاسلامي الكبير هو « فلسطين » . وغزو الشيوعية لوطن حبيب من اوطانهم هو « افغانستان » . وطغيان الحكومات غير المسلمة على حقوق الاقليات المسلمة في كثير من جهات العالم ، وفقدان التلاحم بين الشعوب الاسلامية والحكام الذين لا يحكمون بشريعة الله ، ويستبدلون الذي هو ادنى (من القوانين الوضعية المصنوعة من الاهواء والشهوات والقاصرة عن تحقيق العدل والأمن ، والنظافة والطهر) بالذي هو خير (من تعاليم الحكيم الخبير الذي شرع للناس ما يصلح امرهم ويعز شأنهم ، ويجمعهم على كلمة الحق وفعل الخير). كما يعيشون فتنة عارمة دبرها الكافرون والمنافقون لتمزيق وحدة المسلمين . حين اشعلوا نيران الحرب بين دولتين مسلمتين . فاصبح المسلم يريق دم اخيه المسلم ويدمر دعائم حياته ، واصبحت الفرقة قائمة بين المسلمين بشكل يهدد حاضرهم ومستقبلهم .

والامة التي تنزل بها النوائب ، فلا تتحرك للعمل الذي يدرأ عنها ما نزل ، امة تحفر قبرها بيديها ، وتوفر على اعدائها مشقة القضاء عليها .. فهل الامة المسلمة كذلك ؟ كلا والف كلا .

ان الامة المسلمة في تاريخها المشرق يوم ان كانت تعتصم بحبل الله ، وتعمل بهدايته لم تهن ابدا ولم تضعف ، وطالما لقنت اعداء

الاسلام من الدروس القاسية ما جعلهم ينكصون على اعقابهم خائبين .. كانت اذا نجح معتد في العدوان عليها وسلب حقوقها لا تسكت على ضيم ، بل تمضي كل ايامها في تفكير دائب ، وتخطيط دقيق شامل ، وعمل جاد مثمر ، حتى اذا استكملت عدتها ، وتعبد الطريق امامها ، انقضت على اعدائها واستردت مكانتها ، ويومئذ تفرح بثمرة جهادها ونصر الله لها ، وتكون جديرة باعيادها .

فعلى مسلمي هذا العصر ان يسيروا على الدرب الذي سار عليه السلف الصالح ، وان يعلموا انه لا كرامة بغير عزة ، ولا عزة بغير جهاد ، وانهم ان صدقوا الله نصرهم .. وليتأملوا القاعدة التي رسمها الله للنجاح وخاطب رسوله بها في كتابه الكريم وهي :ـ

تقوى الله ، والتوكل عليه ، واتباع وحيه ، ونبذ طاعة الكافرين والمنافقين قال تعالى :

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) .

فليستمسك المسلمون بهذه القاعدة وليعلموا ان الاعياد الاسلامية لا تكون الا لمن انتصر في ميدان الفضيلة والشرف ، وتعاون على البر والتقوى وجاهد في الله حق جهاده ، وكافح في سبيل العدل والحق والخير .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

يا أهل العلم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نخوض في القرآن بغير علم وألا نؤوله بالهوى والمزاج وألا نقتحم غيب القرآن بتكذيب او انكار أو تحريف بزعم حقنا في الاجتهاد فأن الاجتهاد في مورد النص لا يجوز والاجتهاد مع النص قطعي الدلالة بدعة والجرأة على غيب القرآن بحجة الحق في الاجتهاد ضلال واضلال .

فقد علمنا أن من الناس من حمد للقائلين باعجاز الرقم « ١٩ » بالقرآن ما قالوه تقديسا لهذا الرقم وبشروهم بالأجر إن كانوا خاطئين وبالأجرين إن أصابوا ، وغفل الحامدون عن أن القائلين بقدسية الرقم « ١٩ » وقيام سره في حروف وألفاظ وآيات القرآن وقيام القرآن عليه وصلوا بهذا الهذر الى أن جهنم ليس عليها ملائكة غلاظ شداد والى أن الله لم يتفرد بعلم الساعة ، كما قال كبيرهم أنه عرف بكرامة الرقم « ١٩ » وبفضل حسابات الأعداد علم الساعة وحدده تحديدا .

ومقالي هذا حدده عنوانه فلست أقصد به تأييد ما قرره القرآن من أن على جهنم تسعة عشر ملكا غلاظا شدادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا أن القرآن الكريم قرر أن الله وحده عنده غيب الساعة لم يطلع عليه ملكا ولا رسولا . فهذان الأمران معروفان من الدين بالضرورة وفيهما نصوص قاطعة محكمة .

واخاطب بهذا المقال أشتاتا من الناس منهم المسلمون الذين خالط الأيمان الثابت قلوبهم فأسلموا لغيب القرآن وجوههم ، ومنهم المسلمون مولدا ونشأة لكن حظهم من الثقافة الدينية قليل ، ومنهم المسلمون الذين تربوا على الثقافة الغربية ، وما أكثرهم ، ولم يعرفوا من دروب الفكر غير هذا الذي لقنتهم إياه هذه الثقافة

للمستشار / حسين ناجي محي الدين

فأصبح لهم مزاج فكري ومنحي سلوكي وعقيدي مخالفان لعقيدة المسلم الصحيحة ، ومنهم أخوتنا في الدين الذين لهم نصيب من العلم به قل أو كثر هذا النصيب، لكنهم علموا أشياء وغابت عنهم أشياء فخلطوا بين اجتهاد في فروع التشريعات لصلاح الدنيا وجرأة على الله بلغت الالحاد في كلامه عن غيبه وتحريفه عن مواضعه ظنا منهم أن الاجتهاد يتسع لهذا العبث والتلاعب بتقريرات الله في خصوص غيبه .

ألا فاني أذكر الجميع أن من منهج القرآن ألا نقفوا ما ليس لنا به علم من المغيبات وألا نحكم الظن في أمور العقيدة بالغيب ، فقد قال أصدق القائلين : « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** »الاسراء [٣٦] وقال : « **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون** »يونس (٣٦) .

وسيجد ـ ان شاء الله تعالى ـ من بهرتهم الدعاية المنظمة الملحة المدروسة في ترويج خدعة الاعجاز العددي للقرآن بالرقم « ١٩ » الطمأنينة إلى الحق ، وسيدركون أن الزعم بفضل الكمبيوتر في الكشف عن الأعجاز المزعوم لهذا الرقم الجهنمي ـ ((جهنمي لأنه عدد ملائكة جهنم)) زعم كاذب قصد به التهويل والتطبيل فان العمليات الحسابية التي ساقتها هذه الخدعة عمليات ساذجة

يستطيعها المبتدىء في الدراسة الابتدائية وذلك يستفاد من تدبر النتائج السيئة التي وصلت إليها هذه العمليات الحسابية ومخالفتها لصريح القرآن مما يثبت أمرين معا : أن المنهج الذي اتخذه هؤلاء الحاسبون خاطىء فلا اجتهاد بغير أدوات وطرق الاجتهاد، ولا اجتهاد في الغيبيات هذا أمر وأما الآخر فهو سوء نية هؤلاء الحاسبين فانهم لم يتخلوا عن هذا العبث حين ظهرت لهم نتائجه التي تكذب القرآن ، ولو كانوا حسني النية لهالهم سوء ما وصلوا إليه فكفوا سراعا عما يفعلون ولم ينشروا افكهم بين الناس فضلا عن أن يذيعوه بكل اصرار وبكل وسائل الاعلام وفي معظم بلاد المسلمين .

ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين ، بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا ، فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا . وذلك بخلاف الاحكام الشرعية فانه يكفي لتقريرها الخبر الصحيح الظني وهو خبر الآحاد .

وعلة التفرقة بين العقيدة والأحكام الشرعية في طريقة الثبوت وكيفية الدليل واضحة ومنطقية فان الأحكام الشرعية مستمدة إما من النص الصريح في القرآن أو بأحدى دلالات ظاهر الألفاظ أو مفهوم المخالفة الخ الخ .. وكذلك يمكن تقريرها بالنص المسموع من الرسول الواصل إلينا ولو بطريق الآحاد وذلك لأن أصحاب الرسول لم يكونوا يجتمعون كلهم به - صلى الله عليه وسلم - في وقت واحد وعلى صعيد واحد فكان منهم الحاضر وكان منهم الغائب ، والحاضر ولو كان واحدا منوط به تبليغ ما سمعه إلى من لم يسمع ولو كان واحدا ومطلوب منه ألا يخفي عند الاستفتاء حكم المسألة الذي سمعه بنفسه أو من غيره حكاية عن الرسول . ثم إن كثيرا من العلاقات والمسائل والأوضاع المستجدة على مدى العصور والأزمان قد لا تجد في القرآن نصا صريحا يعالجها ، وربما افتقدت في سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ما ينزل حكم الله عليها فلم تجد ، أو وجدت قريبا منه ، فاحتاج الأمر الى الاجتهاد واعمال القياس بأنواعه .

أما العقيدة فلا يقررها الا القرآن وهو الدليل القطعي وإلا الحديث الموافق تماما والمطابق لحكم القرآن أو الحديث المتواتر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، والقرآن لم يترك عقيدة مطلوب من المسلم الآيمان بها إلا قررها فأية عقيدة تكون زائدة عما ورد في القرآن فانه لا يؤبه لها ولا يؤخذ بها .

ونتحوط فنقرر أن كلامنا هذا خاص بالعقيدة في شأن الغيبيات ، والغيبيات هي الأمور المغيبات أو الوقائع التي تحدث في مستقبل الزمان ، فلا تستنبط ولا تستنتج ولا يجدي في الوصول الى كنهها طريق الاستقراء ولا طريق القياس ، فكل دليل يصلح لتقرير حكم شرعي أو حقيقة علمية لا يصلح أبدا لتقرير المغيبات ، فدليل المغيبات هو وحده الخبر القطعي اليقيني من القرآن أو من السنة المطهرة

الشريفة .

فالقول بعقيدة وأمر يتصل بها يجب أن يسنده دليل قطعي بمعنى خبر يقيني قطعي الدلالة .

وكل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب واقحاما على الله ما لم يأذن بقوله . يكفي ذلك لترتعد فرائص المسلم حين يجازف ويتجرأ على الله وعلى علمه فيقول بغيب لم يقله الله فما بالنا لو قال بغيب خلاف ما قاله الله ومعارضا له ، ويا ويل المسلم حين يزين له الشيطان فعل ذلك ويا ويله اذا زين له الشيطان تصديقه بالقبول والترحاب . فالغيب لا يؤخذ العلم به بالظن ولا بالاجتهاد ولا بالقياس ، ومن فعل ذلك من المسلمين نحاكمه الى كتاب الله ونزنه بموازين الاسلام ، ولا ريب أنه بهذه الموازين تكون أمه هاوية ، ونسأل الله له التوبة ولنا وله السلامة .

وفي القرآن وفي الخبر المتواتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نصوص واضحة عن بعض الغيبيات ، وهذان هما وحدهما المصدر المعتمد لهذه الغيبيات وبعض الغيبيات ورد في شأنها مجرد أشارة فلا نستطيع بحال من الأحوال أن نضيف الى تلك الأشارة أية اضافات بأي دليل آخر مهما كان قدره ، وبعض الغيبيات لم يقتصر فيها النص القطعي سواء من القرآن أو من السنة بمجرد الاشارة لكنه بسط فيها البيان شيئا ما ، وما لم يقله النص القطعي لا يمكن أضافته من عندنا . وسواء ورد الخبر القطعي مكتفيا بالاشارة أو به شيء من البيان والتفصيل فأنه ليس لبشر كائنا من كان أن يورد من عنده ما يناقضه أو ينافيه أو يعد له أو يغير فيه ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره وخرج على نهج الأسلام وجعل من نفسه ـ وحاشا لله وجلت عظمته ـ ندا لله في علم غيبه ، وهذا هو الافك العظيم والخسران المبين .

فالسمعيات ، أو التي نسميها الغيبيات التي لم يتصل بنا علمها الا عن طريق السماع من رب العالمين قرآنا نزل على سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اووحيا تكلم به سيدنا محمد بألفاظ من عنده ، هذه السمعيات نمثل لها بالساعة (القيامة الكبرى) والجنة والنار والجن والملائكة والبعث والنشور والحساب والجزاء الخ الخ ..

وانما الظاهرة التي نريد أن نسجلها هي أن الثقافة الأوروبية التي انتقلت الى امريكا وروسيا وسائر بلدان العالم انما قامت على منهج علمي مادي هو تحقيق المشاهدة وتمحيص التجربة ، والمشاهدة والتجربة لا تصلحان الا لمعالجة الأمور المادية المشاهدة والمحسة ، وقد وقر في أذهان أصحاب هذه الثقافة والمتأثرين بها والمتزودين بزادها أن الدليل العلمي هو وحده المشاهدة والتجربة ، وأن المنهج العلمي المعتبر هو الذي يقوم فقط على المشاهدة والتجربة والملاحظة والاستقراء ، وأنه بهذا المنهج ازدهرت العلوم وتقدمت المعارف وتوصل المتوصلون الى بعض أسرار الكون والى الاختراعات المذهلة .

وظن الظانون أنه لا علم الا عن طريق منهج التجربة والاستقراء ، وبلغ بهم الزهو بهذا المنهج أن حاولوا أن يطبقوه لاستفادة العلم واستنباطه في غير المسائل المادية المشاهدة المحسة فباءوا بالفشل والتخبط فان مصادر العقليات والفكريات غير مصادر الماديات . وما هية هذه غير ما هية تلك ، وبالتالي فان أدلة الماديات غير أدلة المعنويات ، وشتان بينهما وما اعظم الفرق .

بل الأدهى أن بعض أدعياء العلم المنبهرين بدليل التجربة والاستقراء ظنوا في أنفسهم القدرة على أن ينقلوا دليل المشاهدة والتجربة من حقله المادي لا الى حقل معنوي فحسب بل الى حقل الغيبيات فأضحكوا الثكلى ولم يزيدوا على أن قاموا ببهلوانيات لا تصدر الا من صبية غير مميزين أو من مأفونين استبدبهم الهوس والحمق والغفلة ، ونضرب لهؤلاء مثلا بهذا الذي قدس الرقم « ١٩ » وفي سبيل أثبات قداسته لجأ الى ماديات الجمع والقسمة والضرب فضل وأضل .

وان كان العلم الغربي لم يحتج في تحقيقه إلا الى الدليل المادي المستمد من عملية الاستقراء والمشاهدة والتجربة لأنه علم مادي فان علم المسلمين في جانبه الديني اعتمد الدليل المستمد من الخبر حيث كان القرآن والسنة هما المنهلين الرئيسيين والمصدرين المعتبرين لعلم العبادات والتشريعات فضلا عن علم الغيبيات ، وحيث كان الأمر كذلك فقد نهضوا بالخبر فجعلوا منه علما قائما بذاته وقعدوا له القواعد ووضعوا له الموازين والمصطلحات . ولم يكن الغربيون في حاجة الى مثل هذا العلم ، بينما المسلمون أخذوا في علومهم الدنيوية بكل الأدلة العلمية المعروفة الآن وعلى رأسها الاستقراء والتجربة والمشاهدة ، لكنهم لمهارتهم فرقوا بين علم تنزل أصوله من السماء فهو قائم على الخبر وبين علم دنيوي ينتفع بكل موازين العقل وقواعد الفكر السليم في استنباط النتائج من المقدمات واستخراجها من المشاهدات وهكذا وضعوا مع العلم الذي ينظم الرواية وعلوم النقل علما آخر لتنظيم قواعد الفهم السليم وسبل التفكير السوي والخروج بالنتائج الصحيحة من مقدماتها الصحيحة وبرعوا في علم الأدلة وعلم القياس براعة لم يسبقهم اليها سابق ولم يلحقهم فيها لاحق ، وذلك كله في مجال تشريع الفروع .

وهكذا يستطيع المسلم الفاقه المتبصر أن يعمل فكره ببراعة لا تباري في الأمور تعرض عليه فيعالج بالدليل المادي المشاهدات والمحسات وهو لا يعمله في غير هذا النطاق فيخرج بفكر سليم ورأي قويم ، ويعالج بالأدلة العقلية المعنويات والفكريات من فهم للنصوص وازالة تعارض ظاهري أو الكشف عن مناسبات خفية ويعمل دليل القياس الجلي وغير الجلي في مجالهما ويعالج كل حالة بنوع من الأدلة يناسبها ولا يناسبها سواه ثم هو في استنباط الأحكام الشرعية وفي فضائل الاعمال والأقوال يأخذ بالدليل القطعي كما يأخذ بالدليل الظني سواء بسواء .

لكن المسلم المتفقه الصائن لدينه من العبث المتحوط لايمانه أن يخدش لا يعمل في العلم بالغيبيات الا الخبر القطعي اليقيني الذي يفيد القطع والجزم واليقين لا الظن ولا الترجيح ، والمسلم بهذا السلوك لا يمارس الدليل العلمي فحسب انما هو

خاشٍ لربه أن ينسب إليه ما لم يقله أو أن يحرف ما نزل على نبيه ، ثم هو مصدق لربهٍ ولرسوله لا يتحايل على هذا التصديق بتوهينه أو خلخلته ، ثم هو يستحي أن يزاحم الله في علمه أو أن يدعي أن مراد الله كان كذا .

وهكذا يرى القارىء الفاضل أن التدخل في الغيبيات إثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني او التدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله وادعى لنفسه ما ليس لها ، هذا فضلا عن كونه ينحرف بغير الدليل القطعي اليقيني الى التكذيب والانكار أو في أدنى الدرجات الى التحريف والتزوير وهما صنوان للتكذيب والانكار .

واعلم أن الغالبية الغالبة من المثقفين بعلوم الغرب المسيحي والشرق الألحادي لا يعلمون كيف يفرقون بين المادي من الأمور والمعنوي منها فضلا عن المغيبات من حيث أثباتها أو انكارها لعدم علمهم بأنواع الأدلة وما يصلح من الأدلة لكل نوع من هذه الأمور يستوي في ذلك المسلم منهم وغير المسلم ، ويستوي في هذا الخصوص المسلم المتهاون في دينه والمسلم الحريص على دينه الغيور عليه . من هنا سولت لأحدهم نفسه أن ينكر غيب الله بانكاره ملائكة جهنم وأن يزعم مشاركته لله في علم غيب الساعة ، كما سولت للناس نفوسهم أن يصدقوا هذا الهراء وهذا الهذر .

وقد قصدنا بما كتبنا تذكير علمائنا المسلمين ببعض قواعد التفسير ، مجرد تذكير ، فان ما قلناه غير غائب عنهم ولا هم جاهلون بشيء منه .

كما قصدنا وضع المتصدين لبعض مسائل الدين من المسلمين بالتفسير والتأويل بغير علم سابق بقواعدهما ومن غير ان يتزودوا بأدواتهما أمام مسئولياتهم ، وقصدنا تذكيرهم بتبعاتهم حيث أنهم مالوا وزلوا فظلموا أنفسهم وأمالوا وأزلوا فظلموا غيرهم ، وليس ذلك باليسير بل هو الخطب الكبير والفتنة الهوجاء ، فعليهم ان كانوا سليمي القصد حسني النية أن يكفوا عما يفعلون وأن ينتهوا عما يعملون منيبين الى الله معلنين التوبة على رؤوس الأشهاد ثم متبرئين مما جنوا على المسلمين ، ونسأل لهم الله الغفران والعافية .

أما عامة المسلمين فهم معذورون ، لا علم لهم ، ثم انهم ببراءة وحسن قصد يناصرون ويؤازرون من يكشف لهم اعجازا جديدا لكتاب دينهم الذي ارتضوه . والى هؤلاء كتبنا مقالنا هذا ، ونسأل الله لهم الهداية فانها منه وحده والصلاح فأنه ثمرة التقوى . وبعد ، فنخرج مما سبق بنتيجتين لازمتين :

١ ـ أنه ليس كل أحد صالحا أو قادرا على الافتاء في دين الله خاصة اذا كان الموضوع من مواضيع تفسير النص القرآني او الحديثي واستخراج دلالته . فأن لذلك علوما قائمة بذاتها ودراسات طويلة يجب ان يستوفيها باتقان كل من وهب نفسه لخدمة دين الله في هذا القطاع من العلوم الدينية .

٢ ـ أنه ليس كل موضوع ورد في القرآن أو في السنة قابلا لاعمال الرأي والاجتهاد والتفسير والتأويل . فالقاعدة انه لا اجتهاد في مورد النص ، وبعبارة اخرى فأن

النص اليقيني القطعي سواء من القرآن او السنة غير قابل دائما للتأويل او التفسير والاجتهاد خاصة اذا كان متعلقا بالسمعيات وهي المغيبات ، فأن الله يأمرنا ألا نتعقب او نقفو ما ليس لنا به علم .

وهكذا نرى ـ بحق ـ ويرى معنا القارىء الفاهم أنه لا يجوز لكاتب ولا لمؤيديه ان يبحثوا بغير ادوات البحث وخاصة في مواضيع لا يجوز فيها البحث اطلاقا . هذا اذا أحســنا بهم الظن واحترمنا ظاهر اسمائهم والقابهم الاسلامية اخذا بالظاهر وان كانت المناقشة الموضوعية لصنيعهم وترويجهم الفتنة ستكون في غير صالح هذا الظاهر ، ونرجو ان يرجعوا عما هم فيه حتى يحسن بهم ظن المؤمنين .

واعود فأوجز وأحدد ما يكشف عنه إنكار ملائكة النار والادعاء بعلم وقت القيامة ، أن ذلك يكشف عن :

١ ـ تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الثابت في كتاب الله وكتب المرسلين السابقين .

٢ ـ فهو اذن تكذيب لما علم من الدين بالضرورة .

٣ ـ وتكذيب خبر الله تكذيب بالله وانكار له .

٤ ـ فهو اذن الغاء ايضا للرسل والأنبياء وعدم الاعتداد بهم .

ومن المتعاقلين ، أو المتظاهرين بسماحة العلم واتساع صدره للحوار ووجهات النظر المختلفة والمتضاربة من يجلس هادىء البال مستقر الأعصاب بين سيجارته وفنجان القهوة ويقول ان اقصى ما يقال في حق القائلين بالاعجاز العددي للقرآن الذي انتهوا به الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت القيامة هو انهم أجتهدوا فأخطأوا فلهم أجر .

وهؤلاء المتظاهرون بالسماحة في جانب الله لو أن أحدهم بلغه أن فلانا من الناس يرميه بالكذب وينشر عنه بين الناس أنه كاذب بكل وسائل النشر لثار كل ما فيه وفار كالمرجل وانفجر كالبركان وطار غضبا الى القضاء يقاضيه ولنشر بين الناس ـ مكلفا نفسه الكثير من مصروفات النشر ـ أنه هو الصادق الأمين وأن فلانا هذا أفاك كاذب معتد أثيم .

ثم لو انك سألت هذا المتعاقل المتظاهر بسماحة العلم عن ما هية الاجتهاد وشروطه ونطاقه في مسائل العقيدة فأنه يلوذ بالصمت عجزا عن الجواب لا يزيد عن تهتهة او تأتأة او تظاهر بالتعالي عن الاجابة لأنه اعلى واجل واعلم من ان يسأل عن توافه الأمور سؤال التعجيز والاستشكال .

فليدع المتعاقلون المتظاهرون بسماحة الصدر ووسامة العلم الكلمة الحاسمة لأهل العلم والاختصاص . فان اللعب بالعقيدة لعب بالنار ولعب في النار .

فاذا قال الفاقه لدينه ان الجرأة على الله بتكذيب خبره الوارد في كتبه المنزلة أنما هو تكذيب لله فهو فسوق ومروق وردة ، فليسمع له الجميع وليعلموا أنه لا اجتهاد لصاحب دين سماوي في خبر الله فضلا عن أن يكون انكارا له .

ولنسم الامور بأسمائها ، فالاجتهاد هو الوصول الى حكم غير معروف لواقعة لم

يتناولها النص الصريح من القرآن أو السنة بأي حكم ، وذلك في فروع التشريعات الدنيوية . وادوات هذا الاجتهاد نعني شروطه معروفة بين اهل الاختصاص فشروط ترجع الى علم المجتهد وشروط ترجع الى قصده نعني الى صلاحه وتقواه وخشيته من الله ثم شروط ترجع الى نفس الموضوع الذي يريد الاجتهاد في شأنه . فاذا اختل شرط من هذه الشروط أو انعدم ركن من هذه الأركان فان الأمر لا يعدو أن يكون عبث عابث او كيد كائد او ترويجا لالحاد .

اريد ان اقول : ان كان كبيرهم المنتهى من اكذوبة الإعجاز للرقم « ١٩ » الى إنكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة ، ان كان يفقهُ شيئا ولو يسيرا في علم الأصول ومباحث الأدلة او شيئا يسيرا في كيفية تناول العقيدة الثابتة بالقرآن او السنة المتواترة ، فانه بهذا القليل اليسير يعلم تماما ان العقيدة الثابتة بالقرآن لا مجال فيها للاجتهاد خاصة اذا وصل هذا الاجتهاد الى انكار مفهوم ظاهر النص فهو بهذا العلم وان كان يسيرا ـ الا انه بديهية من بدائه العقيدة ـ يكون سجل على نفسه سوء نيته وسوء قصده نحو القرآن واهله . فلا يجوز ان يحتج له عاذر بالاجتهاد ولا يقبل منه اجتهاده لأنه غير ثقة وله خبيئة وقصد سيىء ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن اجتهاده لا يقبل لأن موضوعه عقيدة ثابتة في الدين بالنص القطعي اليقيني ، وكل بحوثه وجهوده مرفوضة لأنها انتهت الى انكار العقيدة .

وان كان هو ومؤيدوه لا يعلمون شيئا ولو يسيرا في أصول الفقه وعلم الأدلة ويجهلون تماما ما يجب أن يعلمه صبي الكتاب غير المميز من أمر العقيدة فان الخطب في هذه الحالة خطبان : خطب الذي يتكلم في الله وأخباره بغير علم وينتهي بجهله وشعوذته الى تكذيب الله ، وينضم اليه خطب الذين سمحوا لأنفسهم بالإنصات اليه بسعة صدر ثم شجعوه على المضي في ترهاته وأباطيله فضلا عن كونهم صدقوه او بالأقل التمسوا له عذر الاجتهاد .

ونقول انتهاء في شأن من نحجم عن ذكر اسمه ومؤيديه ان النتائج التي وصلوا اليها كان يجب أن تروعهم وأن تصدهم عن ابحاثهم وان تسهرهم ليلهم يستغفرون الله منيبين اليه في خشوع الذليل امام العزيز ورجوع الجاهل الى مصدر العلم ، لكنهم ، وللعجب وللأسف معا ، يذيعون نتائج ما وصلوا اليه فرحين مزهوين ويتخذون من الإضرار والجد في اذاعة انكار عقائد قال بها الله اسلوبا لهم في نشاطهم المشبوه .

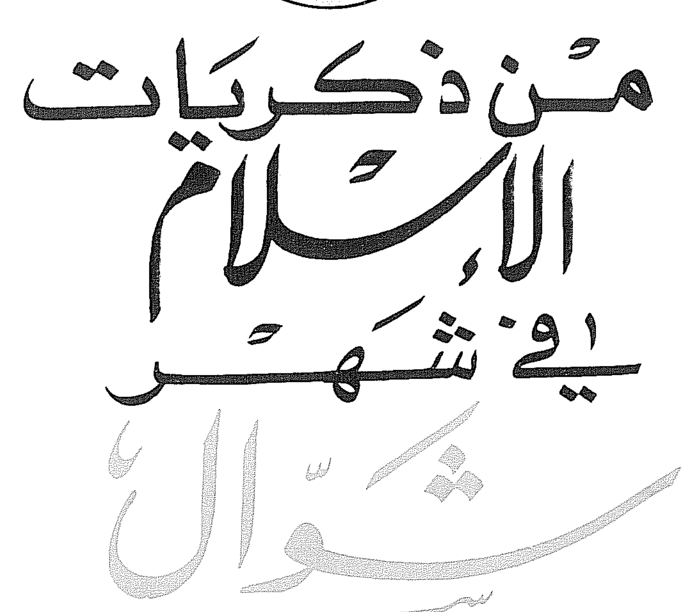
والذي احدسه بل اجزم به ان التباهي بكشف غامض والتفاخر بالوصول الى جديد والزهو بإعطاء الناس آذانهم لهذا الذي يهذر به ، كل ذلك أطربه فأمعن فاستخف الناس ليصدقوه ، فباع آخرته بدنياه والعاجلة بالآجلة ، ولو كانت المساحة من المجلة المخصصة لهذا المقال تتسع للمزيد لكشفنا لقارئها الكريم عن الكثير مما يجب ان يعلمه فاذا علمه زهد في الاستماع الى خدعة الأعجاز العددي للقرآن عن طريق الرقم الجهنمي « ١٩ » الذي هو شعار طائفة مارقة . ونسأل لنا وللجميع الهداية وصواب القول والعمل .

وقفة تأمل

صداقة العدو

ما اضيع الانسان عندما يتحالف مع عدو له .. حتى ولو كان هذا الحلف ضد عدو مشترك آخر .. فما بالك اذا كان البعض يتحالف مع العدو ضد أخيه او صديقه .. واقع مؤلم هذا الذي يعيشه عالمنا اليوم .
ولقد عبر عن ذلك أصدق تعبير شاعرنا الخالد الذكر احمد شوقي حيث قال مصورا ما نقصد اليه :

فـأر رأى القط عـلى الجـدار ... مـعـذبـا في أضيق الحـصـار
والكلب في حـالتـه المعهـودة ... مستجمعا للوثبـة الموعـودة
فحاول الفأر اغتنـام الفرصـة ... وقال أكفي القط هذي الغصة
لـعلـه يكتـب بـالأمـان ... لي ولأصحـابي من الجيـران
فسـار للكلـب عـلى يـديـه ... ومكّـن التـراب مـن عينيـه
فـاشتغل الـراعي عن الجدار ... ونـزل القط ، عـلى بـدار
مبتـهجـا يفكـر في وليمـة ... وفي فـريسـة لهـا كـريمـة
يجـعلـهـا لخطبـه عـلامـة ... يـذكرهـا فيـذكـر السلامـة
فجـاء ذاك الفـأر في الأثنـاء ... وقـال عـاش القط في هنـاء
رأيت في الشـدة من اخـلاصي ... مـا كان منهـا سبب الخلاص
وقـد أتيـت أطلـب الأمـانـا ... فـامنن به لمعشـري إحسـانـا
فقـال : حقـا هـذه كـرامـة ... غنيمـة وقبلـهـا سـلامـة
يكفيك فخرا يا كريم الشيمـة ... انـك فـأر الخطب والـوليمـة
وانقض في الحال على الضعيف ... يـأكلـه بـالملـح والـرغيـف
فقلت في المقـام قـولا شـاعـا ... «من حفظ الاعداء يوما ضاعا»



للاستاذ / صلاح احمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه :(**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**)٢١ / الاحزاب .

كانت ايام الرسول العظيم محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » كلها خيرا وبركة حفلت بالامجاد والمكرمات ، وكان شهر شوال من الشهور التي شهدت كثيرا من الاحداث البارزة ، والذكريات العظيمة التي حفلت بها حياة خاتم الانبياء والمرسلين محمد « عليه الصلاة والسلام » ..

ومن ابرز الأحداث والذكريات في شهر شوال :

(١) بناء النبي « صلى الله عليه وسلم » بعائشة « رضي الله تعالى عنها » :

في شهر شوال من السنة الاولى لهجرة النبي « صلى الله عليه وسلم » دخل النبي « عليه الصلاة والسلام » بزوجه عائشة بنت ابي بكر الصديق

« رضي الله عنهما » ، وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » قد خطبها من ابيها الصديق « رضي الله تعالى عنه » ، وهي بنت ست ، وقيل : سبع سنين ، وبني بها بعد الهجرة وهي بنت تسع ، ولم يتزوج الرسول « صلى الله عليه وسلم » بكرا غيرها .

وقد تربت السيدة عائشة « رضي الله عنها » في منزل الوحي ، فنشأت متخلقة بأحسن الاخلاق ، فلاعجب ان كانت احب نسائه اليه ، وآثرهن عنده ، وكان صداقها اربعمائة درهم ، وروت عن النبي « صلى الله عليه وسلم » اكثر من الف حديث ؛ وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، وكنيتها ام عبد الله ، كنيت بابن اختها اسماء ، وهي أم عبد الله بن الزبير ، وكان يدعوها اما لانه تربى في حجرها .. ، وقبض رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وهي بنت ثماني عشرة سنة ، وقبض ورأسه في حجرها ، ودفن في بيتها ، وتوفيت سنة سبع وخمسين للهجرة الشريفة في شهر رمضان « يوليو ٦٧٨م » ، وصلى عليها ابو هريرة بالبقيع ، ودفنت ليلا ، وذلك زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية .. فرضى الله تعالى عنها وارضاها .

(٢) سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ (شوال - السنة الأولى من الهجرة) :

في شهر شوال من السنة الاولى ارسل النبي العظيم « صلى الله عليه وسلم » ابن عمه « عبيدة بن الحارث » في ثمانين راكبا من المهاجرين ، وعقد له لواء ابيض حمله « مسطح بن اثاثة » ، وذلك لكي يعترض عيرا لقريش ، يحرسها مائتا رجل من اهل مكة ، على رأسهم ابو سفيان بن حرب ، فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ « واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة اميال من الجحفة » .

قال ابن هشام « فلم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان اول سهم رمي به في الاسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم » .

(انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٢٤ طبعة المكتبة التجارية)
وبعد انصراف كل من الفريقين عن الاخر ، ولى المشركون الادبار مسرعين السير الى مكة خوفا من ان يكون للمسلمين كمين او مدد ، وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود ، وعتبة بن غزوان وكانا قد اسلما قديما ،

فانتهزا الفرصة ، ولحقا بالمسلمين .

(٣) « عبد الله بن الزبير » اول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين :

في شهر شوال من السنة الاولى ولد عبد الله بن الزبير ، فكان اول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين ، ولما ولدته السيدة اسماء بنت ابي بكر الصديق « رضي الله عنهما » كبر المسلمون تكبيرة كبيرة عظيمة ، فرحا بمولده ، لانه كان قد بلغهم عن اليهود انهم سحروهم ، حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، وكان اول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة النعمان بن بشير ..

(٤) غزوة « بني قينقاع » شوال ٢هـ :

بعد النصر الالهي للمسلمين في غزوة بدر اغتاظ يهود بني قينقاع ، وبدت البغضاء منهم للمسلمين ، واظهروا مكنون ضمائرهم ، انتهكوا حرمة امرأة من العرب قد قدمت الى سوق اليهود من بني قينقاع ، ومعها حلية جلست الى صائغ منهم بها ، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها وهي تأبى ، فجاء يهودي من خلفها في غفلة منها ، فأثبت طرف ثوبها من اسفل بشوكة الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها « عورتها » فضحكوا بها ، فصاحت فوثب احد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، وهذا نقض لعهدهم مع محمد « صلى الله عليه وسلم » فانزل الله تعالي فيهم : **(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)**٥٨ / الانفال . وقد جمع الرسول « صلى الله عليه وسلم » رؤساء اليهود لابلاغهم عواقب اعمالهم . فقالوا له : « يا محمد لا يغرينك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ، ولو لقيتنا لتعلمن اننا نحن الناس » .. وفي قولهم هذا تحد سافر لمحمد « صلى الله عليه وسلم » والاسلام ، فانزل الله جل ثناؤه قوله تعالى : **(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم أية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار)** ١٢ و ١٣ / ال عمران .

وقد بدأ بنقض الحلف عبادة بن الصامت احد رؤساء الخزرج ، وتشبث بالحلف عبد الله بن ابي وقال : « اني اخشى الدوائر » ، فأنزل الله تعالى فيهم : **(يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم**

الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) ٥١و ٥٢ / المائدة .

ولما كشف بنو قينقاع نقاب العداوة للمسلمين وتحصنوا في حصونهم ذهب اليهم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في النصف الثاني من شهر شوال يحمل لواءه عمه حمزة ، وخلف على المدينة ابا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، فأدركهم الرعب ، ولم يستطيعوا المقاومة ، فطلبوا التسليم والخروج من المدينة ومعهم النساء والذرية ، وللمسلمين المال ، فقبل عليه الصلاة والسلام واوكل عبادة بن الصامت لخروجهم وامهلهم ثلاث ليال ، وذهبوا الى بلدة اذرعان بالشام ولم يمض عليهم عام حتى هلكوا .

(٥) غزوة احد شوال ٣هـ :

رأت قريش بعد ان لحقت بها الهزيمة في واقعة بدر ان تثأر لشرفها وسمعتها ، ولمن قتل من رجالاتها ، لذلك كانت هي البادئة في العدوان ، ومما يدلنا على شدة حرصها على الاخذ بالثأر انها ظلت تستعد مدة سنة لحرب الرسول « صلى الله عليه وسلم » واصحابه ، وبذلت في هذا السبيل مجهودا كبيرا ، كما خصصت اموال القافلة التي حاول المسلمون اعتراضها وهي قادمة من الشام ، والتي كانت السبب في واقعة بدر للانفاق منها على تلك الحرب ، وطابت انفس اشرافها ان يجهزوا من تلك الاموال جيشا فنزل فيهم قول الله جل ثناؤه : (**ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون)** ٣٦ / الانفال .

كذلك دعت قريش حلفاءها من ثقيف وقبائل تهامة وكنانة للاشتراك معها في محاربة المسلمين .. ، ولما تم استعدادها خرجت بحلفائها الى المدينة في شوال سنة ٣ هـ بقيادة ابي سفيان بن حرب .. ، ولما بلغ النبي « صلى الله عليه وسلم » قدوم قريش على المدينة ، استشار أصحابه كعادته في مثل هذه المواقف ، فمنهم من اشار بالاكتفاء بالدفاع ، ومنهم من أشار بالخروج من المدينة ومقاتلة قريش .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى وجوب البقاء في المدينة والاكتفاء بالدفاع عنها وقال لاصحابه : « امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام « جمع اطم وهي بيوت من حجارة كان يسكنها اهل المدينة » ، فان دُخل علينا قاتلناهم في الأزقة » وقد أيده في ذلك

أكابر الصحابة من المهاجرين والانصار ، كما وافقه عبد الله بن ابي . اما انصار الرأي الثاني فكان اغلبهم من الشبان الذين لم يشهدوا بدراً ، ومن المسلمين المتحمسين للقاء العدو ، وهؤلاء قالوا للرسول : « اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا » .

قبل الرسول « عليه الصلاة والسلام » رأى هذا الفريق لكثرة عدد انصاره وقوة باسهم ، ثم خرج من المدينة في الف من المسلمين ، ولم يكد يبلغ الشوط « مكان خارج المدينة » حتى تخلى عنه عبد الله بن ابي مع فريق من الجيش بحجة ان النبي لم يأخذ برأيه ، وقد ترتب على ذلك حدوث بعض الاضطراب في صفوف المسلمين .

لم يعبأ الرسول « صلى الله عليه وسلم » بتخلف عبد الله بن ابي واتباعه ، وواصل السير حتى نزل بعدوة الوادي « شاطىء الوادي وجانبه الصلب » ، فاستقبل المدينة ، وترك جبل احد خلف ظهره حتى لا تهاجمه قريش من خلفه ، وجعل وراءه الرماة ـ وهم خمسون رجلا ـ وولى عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم « احموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف ان نؤتي من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم اني اشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل »

(امتاع الاسماع ـ المقريزي جـ١ ص ١٢٤)

اما قريش وحلفاؤها فنزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة ، وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ..

وابتدأت الواقعة بهجوم من جيش المسلمين على كتائب المشركين حتى اختلت صفوفهم وولوا منهزمين ، فتبعهم المسلمون واخذوا يجمعون ما وجدوه في طريقهم من الغنائم ، فلما رأى الرماة رسول الله واصحابه متقدمين في جوف عسكر المشركين تركوا اماكنهم وسارعوا الى جمع الغنائم ، فعاود المشركون الهجوم بعد تفرقهم وحاصروا المسلمين من كل جهة وانتهز خالد بن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة واتى المسلمين من خلفهم واعمل الرماح في ظهورهم فانتقضت صفوف المسلمين وصاروا ـ كما يقول الطبري ـ ثلاثة اقسام ما بين قتيل وجريح وفريق منهزم جهدته الحرب لا يدري ما يصنع ، وقد حاول هذا الفريق الهرب في ثنايا الجبل ، ولم يثبت مع الرسول سوى اربعة عشر : سبعة من المهاجرين ومثلهم من الانصار ..

وازمع ابو سفيان بن حرب العودة الى مكة .
(انظر : الامم والملوك للطبري جـ٢ ص ١٩٧ ، امتاع الاسماع للمقريزي جـ١ ص١٥٧)

(٦) غزوة الخندق او الاحزاب شوال سنة ٥ هـ :

وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة ، ويطلق عليها غزوة الخندق للظاهرة الحربية التي امتازت بها عن سائر الغزوات ، فقد احاط الرسول فيها المدينة بخندق ليحول دون مهاجمتها ويصد به العدو ، كما عرفت ايضا بغزوة الاحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية الى قريش في محاربة المسلمين .

اجتمع طوائف من مشركي قريش وغيرهم من العرب ، وبنو النضير من اليهود لحرب المسلمين وعددهم عشرة الاف رجل ، ويرأس الجميع ابو سفيان ، لأنه كان قائدهم العام .

اما المسلمون فلم يخرجوا من المدينة بل حفر الرسول خندقا عملا باشارة سلمان الفارسي حذرا من هجوم الاعداء عليها ، واما المشركون واليهود فحاصروا المدينة ، وضيقوا عليها تضييقا شديدا ، واستمر الحصار خمسة عشر يوما ، وفي ذلك الوقت نقض بنو قريظة اليهود العهود ، وجاهروا المسلمين بالعدأوة ، وكذلك المنافقون ابرزوا ما تكنه صدورهم من النفاق ، فاشتد عند ذلك البلاء وعظم الخوف على المسلمين ، لان العدو اتاهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظن المسلمون بالله الظنون فأرسل الرسول عند ذلك خمسمائة مقاتل لحراسة المدينة خوفا على النساء والذرارى .. ولم يزالوا على هذه الحال الى ان هرب الاحزاب المحاصرون من خوف اصابهم ، واراح الله المسلمين من هذه النقمة ، وذلك ان الله سلط على الاعداء ليلا ريحا شديدة ، وجنودا لم يروها .. وفي البخاري .. « دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .
(انظر : لباب الخيار في سيرة المختار للشيخ مصطفى الغلاييني ص ٧٢)

ولا شك انه كان لفشل الاحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين اثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة ، فقد تبين لهم ان المدينة لا تؤخذ عنوة وان حشرت لها الاف الجنود من الحجاز ونجد ، وقدروي ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : حين جلت الاحزاب عن المدينة : « الآن نغزوهم ولا

يغزوننا » .

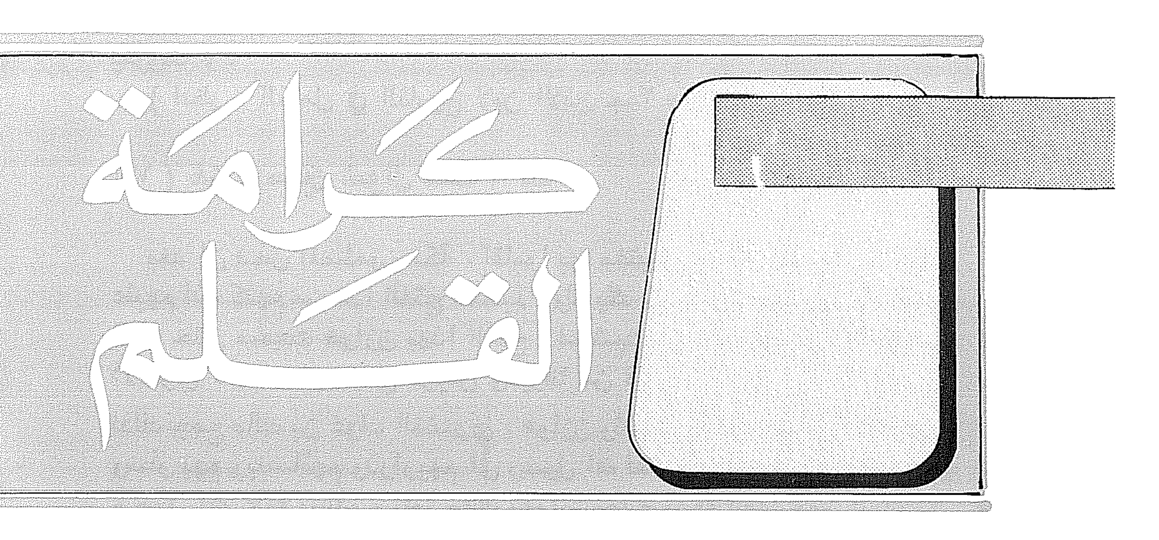
(انظر : الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٢ ص ٦٩)

(٧) غزوة حنين شوال سنة ٨ هـ

بعد ان دخل المسلمون مكة ، اقاموا بها مغتبطين بنصر الله تعالى وفضله عليهم اذ مكنهم من هذا الفتح العظيم ، ولم يكد المسلمون يستقرون بها اياما قليلة حتى سمعت هوازن بهذا الفتح ، فخشيت ان تدور الدائرة عليها هي الاخرى ، كما دارت على قريش وغيرها من قبل .

لذلك جمع مالك بن عوف النضري : هوازن وثقيفا وبعض القبائل الاخرى ، وسار بهم وبنسائهم وذراريهم الى رسول الله لقتاله .. ، ولما علم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بامر مالك وهوازن خرج ومعه الفان ممن اسلم من قريش وعشرة الاف من اصحابه .. وعندما بلغ المسلمون حنينا في المساء نزلوا على واد بها فأمضوا هنالك ليلتهم ثم انحدروا في عماية الفجر الى اودية تهامة ، وهناك فاجأتهم كتائب مالك بن عوف اذ كانوا يكمنون في الشعاب وامطروهم بوابل من النبل وشدوا على المسلمين ، فتراجع المسلمون وتفرقوا وانحاز النبي ذات اليمين وثبت في مكانه ، فأحاط به جماعة من المهاجرين والانصار واهل بيته لحمايته من عدوان قد يقع عليه . وحين رأى النبي ان الناس قد تفرقوا نادى فيهم : « اليّ ايها الناس انا النبي لا كذب ، انا بن عبد المطلب » ، ثم امر العباس بن عبد المطلب ان ينادي فيهم فهتف العباس يقول : يا اصحاب سورة البقرة ، ياأصحاب السمرة .. وتجاوب صدى الهتاف في جنبات الوادي فاخذ المسلمون يأتون من كل صوب قائلين : لبيك لبيك .. وعاد الجميع الى ساحة الاستبسال ، والتقوا باعدائهم فقاتلوهم وشدوا عليهم ، واخذوا ينادون : ياللأنصار ياللخزرج فتفرق في الاعداء وانهزموا وهكذا نصر الله المسلمين نصرا مؤزرا وانهزم المشركون وخيب الله امالهم وقد نزل في شأن هذه الغزوة قول الله تبارك وتعالى : (**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين**) ٢٥ و ٢٦ / التوبة .

وبعد : فهذه هي صور من حياة المسلمين في شهر شوال في عهد الرسول العظيم محمد بن عبد الله « عليه الصلاة والسلام » وصدق الله العظيم اذ يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**) ٢١ / الاحزاب



ذكر الله عباده بفضيلة الكتابة ، ونعمة القلم ، وثمرة القراءة ، وجعل ذلك احدى آياته التي لا تحصى ، ونعمه التي لا تستقصي ، فقال عز من قائل : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ .

وأقسم به تعالى في قوله : (**ن . والقلم وما يسطرون**) القلم/ ١ ولا يذكر الله سبحانه الا بنعمة جليلة انعم بها على عباده ، ولا يقسم عز وجل إلا بأمر خطير ، له في حياة عباده أبلغ الآثار .

وقد احصى ابن وهب وجوه البيان أربعة هي : بيان الاعتبار ، وبيان الاعتقاد ، وبيان العبارة الذي هو نطق باللسان ، وبيان الكتاب .

وقال عن بيان الكتاب إنه هو الذي يبلغ من بعد او غاب ، لأن بيان اللسان مقصور على الشاهد دون الغائب ، وعلى الحاضر دون الغابر ، وقد اراد الله أن يعم بالنفع جميع أصناف العباد ، وسائر آفاق البلاد ، فألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم ، وعبروا به عن ألفاظهم ، ونالوا به ما بعد عنهم ، وكملت بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا الغاية التي قصدها الله في افهامهم ، وايجاب الحجة عليهم . ولولا الكتاب الذي قيد على الناس اخبار الماضين لم تجب حجة الانبياء على من اتى بعدهم ، ولا كان النقل يصح عنهم . ولذلك صارت الأمم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب .

وقد قال العارفون في الموازنة بين دلالة القلم ودلالة اللسان : « القلم أحسن اللسانين ، والقلم أبقى اثرا ، واللسان اكثر هذرا » فاذا تحرى الكاتب الصدق فيما تخط يمينه جرت على اسلات قلمه آثار العلم ونفحات الايمان ، فعظمت الفائدة ، وتحققت رسالة القلم في نفع العباد ، وهدايتهم الى طريق الهدى والرشاد .

ايمان الكاتب

للدكتور/بدوي طبانة

وما تخطه اقلام الكاتبين انما هو صورة لما تنفث صدور اصحابها مما كمن في اعماقهم ، وما انطبعت عليه نفوسهم ، وذلك مصداق القول المأثور في عالم الادب والنقد ، وهو ان الاسلوب هو الرجل !

حتى الالفاظ المختارة ، والعبارات المؤلفة ، تبدو فيها طبائع اصحابها ، والوان معارفهم ، كما تبدو فيها سجاياهم واخلاقهم . ولهذا كان لكبار الكتاب طرائقهم في الكتابة ، واساليبهم المتميزة في التعبير التي يستدل بها القارىء اللبيب على شخصياتهم ، ولو لم تذكر له اسماؤهم .

ومعنى ذلك ان ذخائر المعارف ونوازع النفوس تجد سبيلها في المداد الذي يجري على القراطيس ، ليعكس عليها آثار العقليات والنزعات ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ..

وهنالك مقياس من اهم المقاييس التي يقيس بها النقاد جودة الكلام ، ويقدرون على اساسه صناعة الكلام ، وصناع الادب . وذلك هو مقياس « الصدق » في التعبير عن النفس ، وعن المشاعر والعواطف التي تجيش في صدور الادباء او الكاتبين .

ومن هنا تستشعر الاقلام حاجتها الى ايمان اصحابها بما يكتبون ، وصدقهم في التعبير عن هذا الايمان ، لأن لذلك ابعد الاثر في تصديق ما يكتب الكاتب ؟ وفي تقبلهم لما يقول ، وذلك يؤدي الى الثقة به ، والى سمو منزلته وعلو مكانته بين انداده من الادباء والكاتبين .

والايمان هو سلامة الاعتقاد ، واطمئنان القلب الى ما تكشف له من اسباب الايمان . ومعنى ذلك ان الرأي هو الذي يمثل عقيدة صاحبه ، وان هذه العقيدة هي التي تنسج الرأي وتوجهه وتجليه ، وهي التي تمنحه بعد ذلك صفة الثبات والاستقرار .

اما الرأي الذي لا يرفده اعتقاد ، ولا يعضده ايمان ، فلا يوصف الا بأنه شقشقة لسان ، وتنسيق الفاظ ،

وتزويق كلام . ولا يستساغ وصفه بالرأي ، لأنه فقد صلته باليقين الذي لا وجود له في قلب صاحبه ، قبل ان يفقد اليقين الذي يراد له في قلوب الآخرين .

وقد يكون لفقد اليقين علامات منها انك ترى في احاديث اللسان او القلم التي لا تنبع من القلب ، ولا تنبعث عن اعتقاد ان القول يهدم في آخره ما حاول ان يبنيه في اوله ، وينقض في حديث لا حق ما اراد ان يبرم في حديث سالف ، لأنه لا عبرة عند صاحبه بحقيقة يتحراها ، او عقيدة تدفع الى التعبير عنها ، وضم عناصرها بعضها الى بعض ، ليجيء هذا التعبير محكما رصينا عن عقيدة صلبة راسخة .

ومن ذلك ايضا ان يختلف منطق القول عن واقع العمل ، لأنه لا قيمة للايمان من غير العمل الذي يقتضيه ذلك الايمان ، وهو الذي يدل عليه ويؤكده . وكأن الكاتب حينئذ يحاول ان يكتب فيما يعجب الناس ، او فيما يظن انه محبب اليهم ، من غير ان ينبع الاعجاب من ذاته .

وذلك هو السر في ان اكثر ما يقرأ الناس وما يستمعون اليه لا يقع من قلوبهم الموقع الذي يلائم بلاغة العبارة وفصاحة الاسلوب ، لأن ذلك لم يجاوز حدود الصناعة التي تدرب عليها الكاتب او المتكلم .

وذلك ضرب من النفاق الذي كرهه ربنا عز وجل ، وكبر عنده مقتا ، فقد كان الرجل يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، وما فعل ، وكان يقول : قاتلت ، ولم يقاتل ، وصبرت ، ولم يصبر ، فأنزل الله تعالى : (**(يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)** الصف/٢ و ٣ .

ان نظرة واحدة الى كثير من الكتابات يوقفنا على ان الكتابة ـ وهي صناعة شريفة ـ اصبحت حرفة ممتهنة ، ووسيلة الى جلب الخير ودفع الضر ، وستر النفاق ، بقدرة اصحاب هذه الصناعة الشريفة على التقلب بين المبادىء ، والتنقل بين الموارد والمصادر .

وعندئذ يصبح القلم اداة للكذب والتمويه ، ووسيلة الى الخداع والتضليل ، فيحيد عن الهدف المرجو ، ويتنكب الطريق السوي المستقيم .

ولذلك كان الصالحون يتحاشون كثرة الكلام الا اذا كان صادرا عن طبع وايمان ، لأنهم كانوا لا يريدون به الا وجه الله ، ولا يعنيهم احد سواه .

لقد عرف العلماء والحكماء فضل هذه النعمة الكبرى على عباده ، وما يسرت لهم من تحصيل العلوم والآداب ، وسائر ما يرقى بعقولهم وقلوبهم ، وما يصلح من احوالهم في معاشهم ومعادهم ، فدونوا بأقلامهم كل ما استطاعوا ان يثقفوه من دين وعلم وخلق ، وكل ما رأوا في تدوينه خيرا لغيرهم ممن لم يعلموا علمهم ، ولم يثقفوا ثقافتهم ، فأنقذوهم من ظلمات الجهالة ، وحالوا بينهم وبين اسباب التردي والهلاك .

ثم اضافوا الى تراث الانسانية ما

استطاعوا ان يضيفوه من العلم النافع والحكمة البالغة ، ومن آثار النور الذي ملأ الله به قلوبهم ، والهداية التي يسر لهم سبيلها ، والقدرة على النظر في ملكوت السموات والارض ، وما خلق الله فيهما .. وقد حفظ التاريخ لاولئك العلماء والحكماء فضل ما اسدوا الى الانسانية ، لتضيف اليه في مستقبل حياتها ما تستطيع ان تضيف ، حتى لا تبدأ التجربة من جديد .

وهناك فريق من حملة الاقلام ضلوا سبيل الهدى ، وحادوا عن منهج الحق ، فصارت هذه النعمة في ايديهم نقمة ، وجرت اقلامهم على القراطيس بما يعفي على القيم ، ويقتل روح الفضيلة ، كما تجري الافاعي تنفث السم الزعاف الذي يردى من اصابته حمتها .

وشأن القلم أو شأن الكتابة في هذا هو شأن كل شيء نافع جميل ، كالصحة والثروة والجمال ، فهذه كلها تؤدي الى الخير والصلاح اذا احسن الانتفاع بها ، وهي كلها شرور تؤدي الى الضرر والفساد اذا اسيء استعمالها .

وليست هذه الاقلام الفاسدة جديدة على عالم الكتابة ، فان الخير والشر موجودان في طبيعة البشر ، وجود الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، والفضيلة والرذيلة ، والنفع والاذى ..

ولكن ضرر هذه الاقلام الفاسدة اصبح في زماننا اشد ، وخطرها صار ابلغ في تصديع المجتمعات من ضرر ما كانت تكتب في العصور الخالية ، وذلك للدور الخطير الذي تلعبه الصحافة في اذاعة ما تنشر بين جميع الطبقات بعد ان كانت هذه الكتابات محصورة في الكتب المنسوخة التي لا تصل الا الى ايد بالغة القلة من القارئين .

ومنذ سنوات انتقلت الى اوطاننا الاسلامية والعربية تيارات من الانحلال الخلقي والاجتماعي التي انتشرت في اوربا بعد الحرب العالمية الثانية . وكان من ابرزها تلك البدعة التي فشت في شبابنا فيمن يسمونهم « الهيبز » وما نسميه « الخنفسه » . وقد قابل مجتمعنا هذه الظاهرة في شبابنا بالنفور والانكار والاشمئزاز . وكان في ذلك الانكار ما يدعو اولئك المقلدين الى الاقلاع عما انحرفوا اليه من هذه البدعة المنافية للذوق ، الخارجة عن حدود الادب .

وكنت قرأت فيما اتيح لي ان اقرأ منذ سنوات خبرين أثار أحدهما اعجابي ، وأثار الآخر اشمئزازي ..

اما الاول فقد كان يتمثل في نداء وجهه بابا المسيحيين الى نقابات الحلاقين يناشدهم فيه أن يتقوا الله في رؤوس الشباب التي يضعونها بين ايديهم ، فلا يحلقونها على نحو تأباه الفضيلة او ينتقص من مروءتهم ، او يخل بخصائص رجولتهم التي ينبغي

ان ينشأ عليها شباب البلاد ، ويوجهوا نحو الفضيلة ومكارم الاخلاق والعمل الجاد النافع لحياتهم ، ومستقبل اوطانهم .

اعجبتني تلك الغيرة على الامة وشبابها الذين تنتظرهم ليبنوا برجولتهم ، وبسواعدهم الفتية امجاد الوطن . في حين انني لم أقرأ لواحد من رجالنا او كتابنا ما يشبه هذا التوجيه ، وكأن مثل هذا الامر لا يعنيهم في قليل او كثير .. اما الاخر فقد كان كلمة كتبها واحد من كتابنا ، اخذ فيها يفلسف ظاهرة « الخنفسة » التي انحرف اليها كثير من شباب الامة ، واخذ يصطنع الاسباب ، ويلتمس المعاذير لأولئك المنحرفين ، ويعلل فشو هذه الظاهرة بان اولئك الشباب انما « تخنفسوا » ليعبروا عن شعورهم « بالقلق » الذي يعانونه في هذه المرحلة من مراحل حياتهم .

ومعنى ذلك بايجاز ان اولئك الشبان المدللين يعانون من مشاعر زعم الكاتب اللبيب انهم يحسونها في حياتهم ، وانهم لم يجدوا وسيلة للتعبير عن هذه المشاعر التي استولت عليهم سوى هذه « الخنفسة » التي تبدو في تشبه الفتيان بالفتيات في ارسال الشعور ، واطالة الاظفار ، وتضييق السراويل ..

وسألت نفسي : اي انحدار بالفكر هذا الذي أقرأ ؟ واي اسفاف في ابتذال العلم بمثابة ذلك السخف ؟ واي تحريض على التمادي في ذلك الانحلال فوق هذاالتحريض ؟

ثم ما هذا القلق الذي يكابده شبابنا في هذا الزمان ؟ وما اسبابه ودواعيه وهم يستقبلون حياتهم بالعافية واشراقة الامل في نفوسهم ؟ ان نظرة واحدة الى هؤلاء الشباب ، والى الحياة التي يحيونها ، توقفنا على مدى ما ينعمون به من ترف ورفاهية ، وحياة كان لا يحياها آباؤهم ولا اجدادهم من قبل ، اللهم الا القليل من الافراد ، والقليل من ابناء الاسر التي من الله عليها بالسعة في الرزق ، والرغد في العيش ..

ان هذه النظرة الواحدة توقفنا على الفروق البعيدة بين حياة الأبناء في هذا الزمان ، وحياة آبائهم واسلافهم الذين كانوا يلبسون ما خشن من الثياب ، وينامون على الحصر ، ويأكلون على الارض اقل ما تخرج لهم الارض ، ويستضيئون بلهب النار ، او بشعلة الزيت او شعلة النفط ، وعاشوا قانعين راضين بما رزقهم الله ، وبما قدر لهم من نعمة ، وانصرفوا الى العمل الجاد الصالح الذي ينفعهم في الدنيا والاخرة .

وتذكرت ما قال الصديق ابو بكر لعبد الرحمن بن عوف ، وهو يعوده في علته التي مات فيها : « والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي ، كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان » ! ولقد صدق الصديق رضي الله عنه فيما توقع مما تصير اليه

احوال المسلمين اذا ابطرتهم النعمة ، وشغلتهم الدنيا .

ولو سلمنا جدلا بهذا القلق الذي يلف الشباب ، فهل « الخنفسة » هي الدرع الواقي ، والبلسم الشافي من ذلك الداء العضال ؟

ان الأمر لا يعدو في نظري ان يكون عبثا من القول ، في عبث من الفعل ، ودعوة الى الفساد ، وليس علاجا لداء من الأدواء ، او وهم من الأوهام التي يتصورها مثل ذلك الكاتب الفيلسوف ، الذي خان امانة الكتابة ، وكرامة القلم ، وانضم الى زمرة الشياطين الذين يزينون للناس ما توحي به اليهم نفوسهم المريضة ، واستهانتهم بالقيم الانسانية ، والاخلاق الفاضلة .

وبشرى للخائفين والقلقين !

ومرحى .. مرحى للكاتب الفيلسوف الذي استطاع ان يشخص لهم الداء ، ويستنبط لهم الدواء ، ويعيد اليهم الثقة بانفسهم ، وما ذهب من مروءتهم او رجولتهم !

وادهى من ذلك وامر ما كتبه واحد من كتابنا المعروفين الذي يوصفون « بالتقدميين » وهم في الحقيقة « تأخريون » ـ اذا صحت هذه النسبة ـ الى ابعد حدود التأخر ، لانهم يريدون ان يعودوا بالانسان الى البهيمية ، وقد اخذ هذا الكاتب يشجع الادباء ، بل يدعوهم الى التصريح في شعرهم وكتاباتهم بما تنكره مبادىء الدين واصول الاخلاق ، وما يأباه كل ذوق سليم .

يقول هذا الكاتب « التقدمي » ان الاديب اذا احتاج الى صراحة تامة في التعبير عن العلاقات الجنسية ينبغي ان يمنح هذا الحق ، وان له كل الحق في ان ينال الحرية في بحث مشاكل الجنس بصراحة كاملة ، كما يبحث العالم مسائل الغازات السامة .. ويقول انه ليس في الادب الجنسي ضرر نشأ عن هذه الصراحة فيه يساوي او يقارب الضرر الذي نشأ من الغازات السامة !

ويتمسح هذا الكاتب بعلم النفس الحديث الذي يدعي ان الصراحة وعدم الوقوف في وجه الغريزة الجنسية والكلام عنها ، كل ذلك لا يضر ، وقد يفيد .. الى اخر هذا الكلام الساقط الذي يشجع على الفحش ، وعلى المجاهرة بالرذيلة ، غير مبال بأثر تلك المجاهرة في اخلاق الشباب ، وتحريضهم على تنكب الطريق السوي ، والصراط المستقيم .

ان امثال هذه الكتابات المتمردة على مبادىء الحق والعدل بعيدة الاثر في تقويض المجتمعات ، وينبغي الا تجد لها طريقها الى النشر والاذاعة ، وان يؤاخذ كاتبوها على جرأتهم على الحق والخير والفضيلة ، وان يضرب على ايديهم ، ماداموا قد فقدوا الضمير الحي الذي يردعهم ، ويحول بينهم وبين الغي والفساد ، في كل امة يحرص قادتها على كرامتها ، وعلى شبابها الذين تعدهم لبناء امجادها بمثلهم الرشيدة ، وسواعدهم الفتية .



★ نور العلم :

لم يبدأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ كتابه الكريم بالدعوة الى العلم الا وهو يريد أن يرعى نظر اوليائه اليه فيوقفوا انفسهم عليه ، ثم يكتسبوا من وراء ذلك عزة الربانيين وكرامة المقربين .

اما العلم فهو نور الله لا يهتدي اليه الا الموفق السعيد ، وهو الذي يضيء قلوب العارفين فيدركون به جلال الله وجماله ، فيزدادون لله حبا وخشية ، وعلى قدر حبهم لله يكون فرحهم به وانسهم بجماله . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ولم يجمع اهل الله على شيء كما اجمعوا على وجوب العلم الذي يثمر المعرفة وعلى وجوب الاستعداد لطلبه بالوسائل المعينة على طلبه المؤدية الى فتح ابوابه واجتناء ثماره . وليس انجح في ذلك من وسيلة الصدق في الطلب والتسلح بالطاعة . قال الامام مالك للشافعي رضي الله عنهما حين قصده لطلب العلم : ما اسمك ؟ قال : محمد .. فقال : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فانه سيكون لك شأن من الشأن .

وكان للامام مالك فراسة صادقة ظهرت آثارها في الشافعي الذي طبق علمه الارض ، ويقول بعض العلماء : انه ـ اي الشافعي ـ المقصود بالاثر الوارد : عالم قريش يملأ طباق الارض علما .

وقد نظم الشافعي وصية استاذه وكيع حين اوصاه بالطاعة التي تورث العلم في قوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

وقول الشافعي هذا من قبيل تواضع العلماء الذي يضيف الى جلالهم جلالا والى رفعتهم رفعة والى قدرهم سموا وعظمة .

★ ثمار العلم المعرفة :

ولا ينكر احد فضل العلم الذي ورد فيه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

فلا ادب الا بعلم ، وان اردت اللفظ الصريح فيكفيك قوله تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩

ويكفي ان تكون المعرفة ثمرة العلم ، والمعرفة هي التي تمكن الانسان من ادراك حقائق الوجود والتعرف على الموجود ، ولجلال المعرفة اختص الله بها قوما وصفوا بها واصبحت فخرا لصاحبها حتى يقال له : العارف .

واسمى قطوف المعرفة معرفة الحق جل وعلا ، ولذلك دلائل تبدأ بأن يعرف الانسان نفسه في عجزها ووضاعتها وافتقارها وتقلبها وفنائها وحيرتها ، فيدل الاقرار بذلك على قدرة الخالق وعزته وقدمه وبقائه وتفرده ، ثم يدل ذلك على صدق العبودية لله والاعتماد عليه والالتجاء اليه . ورد في ذلك اثر كريم هو « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

ولا بد ان يثمر ذلك مزيدا من العلم الذي يمكنه من التقوى ، والتقوى تثمر الخشية والتقوى طريق العلم وثمرته معا ، فكما انها تفتح الطريق اليه فهي ايضا تثمره ، قال تعالى : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة / ٢٨٢ وفي الاثر « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

اما الخشية فالمولى عز وجل يقول فيها : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ بأسلوب القصر الذي يفيد غاية التوكيد وقوة التأييد . فكلما استشعر

الانسان ضعفه ازداد يقينه بعظمة القادر الذي تخضع لقوته الكائنات ، فيزداد المؤمن تواضعا وخشوعا ودنوا من حضرة القدس التي تعكس على القلب الفيوضات والاشراقات ، فيرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . انه المعراج الروحي للعارف الذي ورد في حقه « لا تسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن » .

هنا يستشعر المؤمن العزة الحقيقية التي ورد فيها قول الحق تعالى : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون /٨ - فان للايمان هيبة تفيض من قلب المؤمن على جوارحه فما يراه احد الا هابه ، لا تكاد تقتحمه العين،تمتلىء منه رهبة وخشية له . ورد في حق الامام مالك رضي الله عنه ان القلوب كانت تهابه اجلالا له حتى قال عنه سعيد بن هند الاندلسي : ما هبت احدا هيبتي عبد الرحمن بن معاوية - الملقب بصقر قريش - فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت معها هيبة ابن معاوية .

وتعليل ذلك ميسور ، فمهابة عبد الرحمن بن معاوية مردها الى الحكومة والسلطان ، اما مهابة مالك فمردها الى التقوى التي استبطنت قلبه فخشى منها ربه ، ومن خاف الله اخاف الله منه كل شيء . وان الهيبة للامام مالك لتمتد حتى تبلغ الولاة انفسهم ، فلا يستطيعون ان يروعوه كما يروعون غيره من الرعية ، بل هو الذي يروعهم بسلطان العلم وصولجان الورع والتقوى . ولقد ذهب اليه مرة والى المدينة يحمل اليه خطاب توصية بالشافعي ارسله اليه والي مكة ، فلا يكاد يفتح له الباب ويرسل اليه مالك خادمته لتبلغه انه اذا كانت له مسألة فليرفعها في رقعة ويأتيه الجواب وان كان للحديث فانه يعرف موعده .

ولكن الوالي يخبرها بطلبته فيخرج اليه مالك ، وما ان يقرأ خطاب التوصية حتي يقول : سبحان الله اوصار علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤخذ بالوسائل ؟ اي بالوساطات فقد استغرب مالك ان تكون هناك وسيلة غير النية الصادقة في طلب العلم ومعها الجد والاجتهاد اللذان يأخذان بيد الطالب الى مدارج الكمال . هكذا تعلم العلماء قديما انه لا وساطة للانسان في بلوغ علمه غير حسن النية : « **انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله** » رواه البخاري ومسلم وابو داود .

ومن اعظم الهجرات الهجرة في طلب العلم . قال تعالى : (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) التوبة /١٢٢ .

لكن هذه الهيبة التي ورثها العلماء لا تحول - بكل اسف احيانا - بين بطش الجبارين حين يستبد بهم السلطان وتملي عليهم القوة ان بامكانهم ان يفرضوا القوة على العلم او ان يوجهوه لصالحهم ، وان يفعلوا ما يريدون في غيبة الضمير العادل والخشية الحقيقية لله ، وقد تعرض الامام مالك للاذى كما تعرض غيره من اجلة العلماء ، ولكن ذلك لم يخلع الهيبة عنهم ولا أزال معرفة الحق لهم ، بل ازدادوا في نفوس الناس رفعة ، وتلك ضريبة من ضرائب العلم والمعرفة . وكم اوذي الانبياء والاولياء فما ذلت نفوسهم ولا تطامنت عزتهم ولا تركوا دعوة الحق ..

وبذلك اصبح العلم اعظم قربة يتقرب بها الانسان الى ربه ، لأنه يهدي اليه ، ويعرف به ، واصبح كذلك زينة لصاحبه وتاجا فوق مفرقه ونورا يكسوه مهابة وجلالا .. فإن المشاهد في دنيانا التي فتنت الناس بمظاهرها الكاذبة ان يهاب الناس من اعتز بجاهه وماله وسلطانه وقربه من الحاكم ، ويملأ هذا الاستشعار قلب المهيب فيريده طغيانا وعلوا واستكبارا : (**كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى**) العلق /٦ ، ٧ .

ولكن غنيمة العالم اكبر ، وسلطانه اعظم ، لأنه استمده من قربه من الخالق ومعرفته به ، وشتان بين هيبة العالم التي يزينها التواضع وهيبة الطاغي التي يشينها العلو والاستكبار ، تلك هيبة محبوبة محترمة موقرة ، وهذه هيبة مكروهة محتقرة ، ويلتف الناس حول العلماء بالله طائعين وفي قلوبهم الاعزاز لهم والتواضع لهم والحب لهم ، ويلتف الناس حول الطاغين كارهين او طامعين وفي قلوبهم الحقد او الرغبة او الخوف من البطش او الحرمان ..

★ كيف يحقق العلم العزة :

ويصور لنا الجرجاني حرصه على طلب العلم حتى يستغني به ويعز فيقول :

ولو أن اهل العلم صانوه صانهم	ولـو عظموه في النفـوس تعظما
ولكن أذلـوه جهـارا وسـودوا	محيـاه بالاطمـاع حتى تجهمـا
ولم ابتذل في طلبة العلم مهجتي	لاخـدم من لاقيت لكن لأخدمـا
أأشقى به غرسـا وأجنيه ذلـة	اذا فابتياع الجهل قد كان احزما

انه يرسم لنا الطريق امام تحقيق عزة العلم ، انها تتحقق بالزهد في المطامع والارتفاع فوق الرغبات الدنيئة . فالعالم في قلبه غنى واسع ليس في مقدور اي سلطان تحقيقه مهما كان له من عز الغنى وسلطان القوة .

بين العلم والمال :

ان غنى العالم في صدره وروحه ، وثروته في فكره ، هي اغلى من كل كنوز العالم مجتمعة لأنها ثروة روحية باقية ، اما ثروات الناس فهي مادية زائلة ، وماذا يفيد الغني ماله في ميزان المثل ؟ وقديما وازن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بين العلم والمال موازنة دقيقة تدل على فراسة قوية والهام صادق ، قال : العلم يحرسك وانت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق . وهذه قضية شغلت الاذهان طويلا - ومازالت تشغل - حتى قال فيها العلماء والحكماء ما قالوا ، وكان مما قاله حفني ناصف وهو يصور حال الدنيا التي تجتمع الى الجاهل ويفتقدها العالم ، وما حصل العالم علمه وخبرته الا بعناء زائد وتعب شديد :

أتفنى معي ان حان حين تجاربي ... وما حصلتها الا بطول عناء
اذا ورث الجهال ابناءهم غنى ... ومالا ، فما أشقى بني الحكماء

ولكن ليس شقاء على اي حال ، لانه ورث ابناءه ذخرا طيبا وذكرا خالدا .. ولكن « شوقيا وحافظا » كليهما كادا يجمعان على اهمية المال والعلم معا ، فشوقي يقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهمو ... لم يبن ملك على جهل وإقلال

وحافظ يقول :

والمال ان لم تدخره محصنا ... بالعلم كان نهاية الاملاق

ولكن العلم عندهما مفضل في كل حال ، فشوقي يقدمه على المال في الذكر ، وحافظ ينصح بأن يجمع المرء الى ثروة المال ثروة العلم والا فان غناه فقر ووجده عدم .. الا ان الطغرائي كان صريحا حين اقتبس حكمة علي - كرم الله وجهه - المتقدمة فنظمها في قوله :

من قاس بالعلم الثراء فانه ... في حكمه اعمى البصيرة كاذب
العلم تخدمه بنفسك دائما ... والمال يخدم عنك فيه نائب
والمال يسلب او يبيد لحادث ... والعلم لا يخشى عليه السالب
والعلم نقش في فؤادك راسخ ... والمال ظل عن فنائك ذاهب
هذا على الانفاق يغزر فيضه ... ابدا وذلك حين تنفق ناضب

والذي نخلص اليه ان العلم الحقيقي ثروة لا تدانيها ثروة وعزة لا تدانيها عزة ، وكم من غني اذله حرصه على ماله واهمه امر المحافظة عليه وارقه الخوف من الخسران او فوت الربح والطمع في جمع المزيد .

ولئن كان المال كالعلم في تطلع صاحبه الى الاستزادة منه حتى ورد في ذلك اثر « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » الا أن نهم العلم محمودة عواقبه سليمة نتائجه عظيمة بركته كلما زاد علم العالم ازداد بذلك استقرارا ورسوخا ونفعا . اما نهم المال فعلى العكس من ذلك وقلما سلم طامع في حطام الدنيا من الخسار ، كما انه لا يكاد يوجد مستزيد من العلم حل به كساد او بوار .

عزة العالم :

العالم من علمه في عزة ومنعة ، وفي لذة روحية لا تدانيها لذة ، وبخاصة حين يشعر بجدوى علمه ونتائج بحثه ، وهو فرح بالحق تياه بالمعرفة ـ في غير عجب ـ حتى قال احدهم : نحن في لذة لو ادركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

ولا بد من وضع ضابط للعالم الذي يشعر بالعزة ويدرك معناها ..

ذلك هو الذي يعرف للعلم حقه فلا يدنسه بالاطماع ولا يشوهه بالآثام ولا يحقره بالامتهان هو الذي يعمل بعلمه ويطابق قوله فعله ، لا يتناقض فيصبح امثولة بين الناس .

هو الذي يدرك انه بعلمه رفعه الله منزلة عالية دونها كل منازل الارض فهو النجمة المحلقة التي يتطلع اليها الناس ، بل هو الشمس المشرقة التي تعيش في ضوئها الكائنات ، انه كما يقول الشاعر :

ما الفخر الا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء

ان العلم حياة والجهل موت ، ففضل العالم على غيره هو فضل الحي على الميت ولا يستوي الأحياء ولا الأموات .

فالعالم الحق هو الذي يدرك ذلك ، ويدرك معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم » رواه الترمذي .

وفي هذا الاثر لفتة كريمة بارعة ترفع قدر العالم الى منزلة النبوة المشرفة التي تأخذ بأيدي الناس من الظلمات الى النور ، والتي تستمد عزتها من عزة الاله القادر فتستنصر به فلا يرهبها سلطان ولا يزلزلها بهتان ولا يضعفها اغراء ولا يغويها استعلاء .

بهذا الفهم كان العلماء سادة الدنيا ، وبهذا الفهم رفض الامام مالك ان يسعى الى بغداد ليقرأ عليه هارون الرشيد الموطأ ـ كما حدث بذلك الشيوخ ـ بل قال حين طلب منه ذلك : العلم يسعى اليه ولا يسعى العلم الى احد . فقصده هارون الرشيد في المدينة ونصب له كرسيا ليجلس عليه في مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، وخرج مالك الى حلقته ورأى هارون مستويا على الكرسي في المسجد ، وجلس مالك على الارض ليقرأ الحديث ـ كعادته ـ فكان اول ما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله » رواه ابن ماجة فنزل هارون وجلس على الأرض مثل بقية الناس .

هذا درس في عزة العلماء حين يعرفون قدر النعمة التي افاءها الله عليهم ، فلا يعرضونها للابتذال ، وماذا يتبقى في الدنيا اذا ضاعت كرامة العلم ..

ان الدنيا محفوظة مادامت كرامة العلماء محفوظة ، فاذا ذهبت كرامتهم ضاعت هيبتهم وضاع العلم بضياع هيبتهم ، وفي ضياع العلم ضياع للحياة نفسها .

هذه العزة التي لبس تاجها العلماء الأفاضل هي التي مكنتهم من ان يكونوا قدوة لغيرهم في الخير ومنارا يهتدى به الحكام في الاصلاح والعدل ومكنتهم من ان يجهروا بكلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم ، حتى قصدهم الخلفاء واستنار بهم الامراء واستضاء بنورهم الوجهاء .

وهذه العزة هي التي حلتهم بالشجاعة الأدبية ، فلم يخافوا بطش الحكومات الجائرة ولم يضعفوا أمام سطوة الجهل وجبروت الطغيان .

● مثل سعيد بن جبير رضي الله عنه امام الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقال له الحجاج وكان غاضبا عليه ويريد ان يقتله ـ ما اسمك .. فقال سعيد بن جبير .
قال الحجاج : بل شقي بن كسير .
فقال سعيد : امي اعلم باسمي منك .
فقال الحجاج : شقيت وشقيت امك .
فقال سعيد : الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا نارا تتلظى .
فقال سعيد : لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها .
قال الحجاج : الويل لك يا سعيد .
فقال سعيد : بل الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار .
قال الحجاج : اختر لنفسك نوع القتلة التي تريد ان تقتل بها .
فقال سعيد : بل اختر انت يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة .

وحين ولى به ليقتل ضحك سعيد ، فقال الحجاج ردوه ، ثم سأله : ما يضحكك ؟
فقال سعيد : ضحكت من جرأتك على الله وحلم الله عليك .. وقتل سعيد ولم يبد عليه جزع .

هذا حوار دار بين رجل عالم تقي ورع متأهب للموت وبين حاكم قوي كان يتباهى بسلطانه وجبروته ، ومع ذلك لم يستطع الحجاج بن يوسف ان يرهب هذا العالم الذي استعز بسلطان العلم واستنصر بعزة الله .

لم يأبه للموت لانه يعلم بأنه نهاية كل حي ، ولأن يمضي شهيدا خير له من ان يمضي غير شهيد ، والعلم الحقيقي يكشف الحجاب عن صاحبه فيرى منزلته عند ربه فيشتاق لها ويتعجل اللقاء .. والعلم الحقيقي هو الذي يكسب صاحبه الزهد في الدنيا وايثار الاخرة على الاولى فعلام - اذن - يحرص على البقاء في الدنيا وقد اتيحت له فرصة ذهبية للمضي الى الاخرة في موكب من النور والشهادة ؟ ..

وظل هذا الموقف الذي وقفه سعيد بن جبير يؤرق الحجاج خمسة عشر يوما بعد ان امر بقتله ومات الحجاج فرقا ورعبا ، فقد كانت الدعوة التي دعا بها سعيد وهو مسوق الى القتل ، اللهم لا تسلطه على احد بعدي ..

○ مثل آخر :

وبعزة العلماء هذه واجه ابو مسلم الحولاني معاوية بن ابي سفيان حينما دخل عليه يوما فقال له : السلام عليك ايها الأجير .

وحاول الناس - وهم الناس في كل زمان ومكان - ان يوجهوه في خطاب الخليفة وجهة اخرى ، فقال لهم معاوية السياسي المحنك : دعوه فان ابا مسلم يعرف ما يقول .

ثم يقول أبو مسلم لمعاوية :

انما مثلك مثل اجير اؤتمن على ماشية ليحسن رعيها ، ويوفر لبنها ، وينمى الصغيرة ، ويسمن العجفاء ، فان هو فعل ذلك استحق اجره وزيادة ، وان لم يفعل ذلك نزل به عقاب مستخلفه ولم ينل اجرا . يا معاوية انك ان عدلت مع اهل الارض جميعا ثم جرت على رجل واحد مال جورك بعدلك .

يا معاوية ، لا تحسبن الخلافة جمع المال واغداقه ، انما الخلافة العمل بالحق والقول بالمعدلة واخذ الناس في ذات الله ، يا معاوية ان الناس لا يبالون بكدر الانهار ماصفا النبع وطاب ، وان مكان الخليفة من الناس مكان النبع الذي يرجون صفاءه .

اهناك عزة ابلغ من هذه العزة التي لم تمنع صاحبها من ان يقول قولة حق لخليفة المسلمين تحيط به حاشيته وسلطانه ، وهم يحاولون ان يطامنوا من عزة هذا الناصح ويرفعوا من كبرياء المنصوح ؟؟

ولكن الخليفة كان واعيا لبيبا عاقلا ، عرف كيف يستفيد من النصح ويحتفظ للعالم بعزته وكرامته ، فقبل منه النصح وكفكف من غرب حاشيته حين قال لهم في حزم : ان ابا مسلم يعرف ما يقول ؟؟

لقد كان نصح ابي مسلم خالصا لوجه الله ، عارفا منزلته عند ربه ملبيا لامره حين قال في محكم كتابه : (**ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) ال عمران / ١٠٤ - ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذي وقال حديث حسن - رياض العارفين صـــ ١٠٧ .

كان هناك حكام - يستجيبون ويقدرون العلم واهله ويتعرضون للعلماء طالبين النصح والمشورة فلا يبخل عليهم احد بذلك حسبة لله وابتغاء رضوان الله واستجابة لامر الله .

عرف العلماء قدر العلم فصانوه ورفعوا قدره فرفعهم الله بالعلم الى اعلى منزلة ، واعزهم ورسم لهم هالة مشرقة فياضة بالنور . قصد هارون الرشيد مرة الفضيل ابن عياض ليستمع الى وعظه ، فوجده في مكان موحش وفي غرفة مظلمة ، فجال هارون ومعه حاجبه في الغرفة حتى وجده ، فمد اليه يده ليسلم عليه ، فقبض عليها

الفضيل وقال له : ما الينها يدا ان نجت غدا من عذاب الله .

وبكي هارون من وعظ فضيل له حتى قال له حاجبه : ارفق بأمير المؤمنين . فقال فضيل : ويحك ، تقتله انت واصحابك كل يوم وأرفق به انا ..
يقصد ان بطانته بممالأته وتملقه تزين له ما يكون سببا في هلاكه في الآخرة .

واراد هارون ان يقدم لفضيل مالا ، فرفض فضيل قبوله - على رغم حاجته - وقال له : عجبا لك ادلك على النجاة وتدلني على الهلاك .

وخرج هارون يتعثر في مشيته ، ثم سمع صوت امرأة تقول لفضيل : انك تعلم حاجتنا ، افلا قبلت المال لنفرج به ضائقتنا ؟ ..

فقال لها فضيل : انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يخدمهم ، فلما كبر البعير ذبحوه واكلوه . يا اهلي موتوا جوعا ولا تذبحوا فضيلا .

ولقد اطمع هذا الحوار هارون في ان يعود الى فضيل فيقبل المال ، ولكن فضيلا غضب وتركه ولم يرد عليه ، فانصرف هارون يائسا ..

لكنه لم يغضب لأن العالم رفض هبته .. بل ازداد العالم رفعة في قلبه ، وقال هارون لحاجبه : ان اردت ان تدلني فدلني على مثل هذا ..

لقد ادرك هارون ان دولته لن تعز الا بعز العلماء وان سلطانه لن يقوى الا باكرامهم فعرف لهم منزلتهم حتى اثر عنه انه كان يصب بنفسه الماء على يد بعض العلماء اكراما لهم .

فعل ذلك مع ابي معاوية الضرير . وقال له يوما : من صب الماء على يديك ؟ قال : لا ادري . قال هارون : انا . فقال ابو معاوية : اعزك الله كما اعززت العلم واهله .

هكذا كانت عزة العلماء ، لم تهن ولم تضعف ولم تنحن امام الاغراء وما اكثره في خزائن الامراء ، وامتدت بذلك قامة اولئك العلماء حتى تضاءلت امامها القامات ...

انها العزة التي يقول الله عنها في كتابه الكريم : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) .



للاستاذ / معالي عبد الحميد حموده

لا يمكن للتاريخ ان يطوي حوادثه مطلقا .. والتاريخ اذا تبدل الزمان والمكان - وهما يتبدلان طبقا لسنة الله في الخلق - فانهم دائما يقولون ان التاريخ يعيد نفسه .

وها نحن نحيا في عام هجري جديد بعد نهاية القرن الرابع عشر الهجري وخلال هذا التاريخ الهجري وقعت حوادث جمة وتبدل الزمان والمكان وخسر من خسر وفاز من فاز ولكن علينا ان نعي تماما ان التاريخ يعيد نفسه .

وما نعيشه - نحن المسلمين - في مطلع القرن الخامس عشر الهجري يؤكد ذلك تماما ويؤكد ان هذه الاعادة التاريخية الممثلة في وقوف الاسلام بين الصليبية والمغول مرة اخرى .

وقبل ان نتعرف من التاريخ على الوقفة الاولى التي وقفها الاسلام ضد الصليبية والمغول فان المتأمل لخريطة العالم الاسلامي الان وبكل الدقة والتفصيل يجد الاعادة التاريخية

لوقفة الاسلام ضد الصليبية والمغول ولكن هذه الاعادة التاريخية حدث بها تبدل في الزمان والمكان وحدث تبدل في المواقع ولكن الاهداف الاساسية ضد الاسلام هي هي لم تتغير ولم تتبدل بل انها صارت في القرون الهجرية الاخيرة تنمو بشكل عدائي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية كلها ولكن نفس الاعداء هم هم ونفس التحالف ضد الاسلام هو هو ونفس المخططات هي هي ويتجمع هذا كله في وعاء واحد هو : ابادة الاسلام .

ومن اوراق التاريخ الذي لا يكذب نتأمل ما فعلته الصليبية والمغول ضد الاسلام في القرون السابقة ثم نتعرف على ماتفعله الصليبية « والمغول » ضد الاسلام في العصر الحديث ولن نزيد او ننقص الا ان نقدم هذه الاوراق التاريخية لشباب الاسلام الذي يقوم - والفضل لله تعالى - بحركة يقظة اسلامية وبعث اسلامي لاستعادة ما خسرناه ومن اجل التيقظ التام تجاه اعداء الاسلام .

انتصار الاسلام على المغول

المغول هم في الاصل قبائل بدوية همجية موطنها الاصلي وسط اسيا وحضارتها بدائية متأخرة ، ويتجه المغول كثيرا الى الغزو للقتل والسلب والنهب ، فكانوا يغيرون على المدن المجاورة لهم يرتكبون اعمال العنف والارهاب ، ولم يكن غزوهم من اجل نشر عقيدة او فكرة او حضارة انما كان همهم التخريب والتدمير .

وكان المغول قبائل وثنية متفرقة متنابذة وظلوا على هذا الحال الى ان تمكن « جنكيز خان » من جمع كلمة المغول وتوحيدهم ثم اتجه نحو الشرق غازيا مدمرا كاسحا ، ففتح الصين في اوائل القرن ١٣ م ثم نقل المغول نشاطهم الى غرب اسيا ثم شرق اوربا فمنطقة الشرق الاوسط وهي ما تعنينا .

في منتصف القرن ١٣ م بعث خاقان المغول « منكوخان » اخاه « هولاكو » لفتح ايران والشام ومصر وبلاد الروم السلاجقة والارمن .

ونجح المغول في منتصف هذا القرن في القضاء على الدولة الخوارزمية والسيطرة على ايران ، بعد ان اتت الدولة الاسلامية الخوارزمية بضروب اسطورية من الشجاعة والبسالة والمقاومة .

لم تتوقف احلام المغول عند هذا الحد ، ولكن بدأ المغول يتطلعون الى القضاء على الدولة العباسية - وكانت الدولة العباسية للاسف قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف نتيجة الانقسامات المذهبية وانقسام القوى الاسلامية وسيطرة العناصر الاجنبية على الدولة .

ويهمنا هنا ان نذكر ان المغول لم يكن هدفهم - خاصة وان عدوهم هو الاسلام - هو التدمير والوحشية حسبما كانت اهدافهم الاولية ايام جنكيز خان ، ولكن كان المغول يختبرون المقاومة الاسلامية وفي هذا يقول المؤرخ الكبير ابن الاثير في كتابه

« ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي دخلت نصيبين .. والتي وصلت الى اربل كان مقصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم ام لا ؟ فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر فقوى طمعهم » .

وبدأ المغول تجهيز الحملة الضخمة الشهيرة لغزو الدولة العباسية والقضاء عليها .

الصليبية والمغول ضد الاسلام

تعرض الاسلام في تلك المرحلة الدقيقة الى خطرين داهمين خطر المغول من جهة الشرق وخطر الصليبيين من الغرب .

بدأ المغول في اعداد الحملة لغزو الدولة العباسية والقضاء عليها ثم المضي قدما في طريق الغزو واجتياح العالم الاسلامي العربي في بلاد الشام ثم مصر .

في نفس الوقت كان هناك الصليبيون في بلاد الشام وكانوا قد نجحوا سنوات طويلة سابقة في السيطرة على بعض مدن الشام - خاصة المدن الساحلية - لكن المسلمين العرب صمدوا وكافحوا ببسالة منقطعة النظير حتى ادرك ابناء الصليب عجزهم - امام ابناء امة لا اله الا الله محمد رسول الله - وبدت بوادر انسحابهم من الشرق العربي ، واقتصر نفوذهم على مناطق محدودة في بلاد الشام على ساحل البحر المتوسط .

رأى ابناء الصليب ان ينقذوا كرامتهم ومصيرهم ، فجهزوا حملة صليبية جديدة قادها ملك فرنسا لويس التاسع الذي جاء الى جزيرة قبرص ١٢٤٨م ليتخذ منها قاعدة هجوم على مصر باعتبار ان مصر مركز المقاومة الاسلامية العربية للصليبيين ، وقد خرجت من مصر كل الجيوش التي الحقت بالصليبيين في الشام افدح الخسائر .

علم هولاكو وهو يستعد للقضاء على الدولة العباسية بنزول لويس التاسع في جزيرة قبرص ، وكان كل فريق منهم يطمع في السيطرة على الشرق العربي ولم يكن هناك بد من الصدام بين الفريقين الطامعين حول الغنيمة .

ولكن رأي الفريقان ان يتفقا اتفاق اللصوص على اقتسام هذه الغنيمة الكبرى التي يسيل لها اللعاب ، اوفد « هولاكو » سفراءه الى لويس التاسع يعرض عليه تعاون - بل قل تواطؤ - المغول والصليبيين بل ويرى بعض المؤرخين ان لويس التاسع لم يهاجم مصر الا بتحريض من المغول ذلك ان هولاكو كان يتأهب لغزو العراق واسقاط الخلافة العباسية وخشي ان

تهب مصر كعادتها للدفاع عن الاسلام والعروبة ، فرأى ان يشغل المصريين بمواجهة الخطر الصليبي كي ينفرد هولاكو بغزو العراق ..

كانت اللحظة جريئة ومليئة بالدهاء ..

استقبل لويس التاسع سفراء هولاكو بالبشر والترحاب ، اليس الهدف هو القضاء على الاسلام ؟ وبذل كل قطيع حاقد كل جهده في تنفيذ شروط الاتفاق ، فاتجه لويس الى مصر وتقدم هولاكو نحو العراق وبدأ تنفيذ المؤامرة .

ولكن اذا بالقطيع الصليبي يتلقى لطمة مؤلمة ، اذ اخفقت حملة لويس التاسع على مدينة « المنصورة » واضطر لويس الى طلب الصلح ، بل عرض على السلطان ـ وقتها ـ « توران شاه » ان تنسحب الحملة الصليبية من مصر مقابل ان يتنازل توران شاه له عن بيت المقدس .

ورفض السلطان المسلم هذا العرض رفضا تاما فالقدس اسلامية عربية ولا بد ان تظل كذلك دائما .

واندلع القتال ثانية ونجح المسلمون المصريون في إلحاق الهزيمة الهائلة بالصليبيين عند مدينة « فارسكور » ، وقتلوا من ابناء الصليب اكثر من سبعة « الاف » بل ان الملك لويس التاسع نفسه وقع في الاسر وتم ايداعه في دار القاضي ابن لقمان بالمنصورة .

لم يكن امام لويس التاسع الا ان يدفع فدية مالية ضخمة لقاء اطلاق سراحه واخفقت الحملة الصليبية تماما ، وعاد القطيع الصليبي يجر اذيال الخيبة والفشل ..

بعد هزيمة الصليبيين واندحارهم بدأ تنفيذ الشق الثاني من التحالف الدنس ، اذ تهيأ هولاكو لغزو الدولة العباسية وعن طريق المكيدة والخيانة تقدم هولاكو على رأس جيش مغولي ضخم وتم سقوط بغداد في المحرم ٦٥٦ هجرية « ١٢٥٨م » وظل المغول يقتلون المسلمين وكبار الفقهاء وعلماء الاسلام وكبار رجال الدولة العباسية واستمر القتل والسلب والنهب في بغداد ، وكانت اخر عبارة قالها خطيب مسجد بغداد في اخر جمعة اقيمت في بغداد قبل اجتياح المغول « اللهم اجرنا في مصيبتنا التي لم يصب الاسلام واهله بمثلها وانا لله وانا اليه راجعون » .

ونجد من اقوال التاريخ ما يشير الى نقطة خطيرة ، وهي ان الغزو المغولي انما هو امتداد للغزو الصليبي ، ذلك ان زوجة هولاكو كانت مسيحية على المذهب النسطوري ، واستخدمت كل وسائلها في حث زوجها البربري الهمجي على تدمير الاسلام وقتل ابنائه وتصفية المجتمعات المسلمة .

الاسلام يقهر المغول

اجتاح المغول مدن الشام في ٦٥٧ هجرية « ١٢٥٩م » وفتح هولاكو عدة مدن هامة ، ثم بدأ المغول في غزو مدينة حلب هذه المدينة الباسلة التي دافعت دفاعا مجيدا واستشهد كثير من اهلها ولم يتمكن هولاكو من اقتحامها الا سنة ٦٥٨ هجرية « ١٢٦٠م » معتمدا على الخيانة والغدر ، واقدم المغول على كثير من المذابح والفظائع التي لم يشهدها التاريخ من قبل .

بعدها تقدم المغول صوب دمشق وبعد مقاومة اسطورية لدمشق وابنائها المسلمين ضد المغول ، استولى عليها المغول وأعملوا كعادتهم في اهلها القتل والسلب والنهب .

وصل المغول الى مدينة غزة بفلسطين - ردها الله تعالى - واصبحوا قاب قوسين او ادنى من مصر ..

كان يحكم مصر وقتئذ امراء المماليك الذين وحدهم الاسلام ، فوقفوا وقفة هائلة استعدادا للمجابهة المقبلة .

سال لعاب هولاكو بعد سلسلة الغزوات المتتالية ، وظن انه سوف يستولى على مصر في ساعات ، بيد ان الاسلام اذا خسر في مواقع فانه الدين الوحيد الذي يجعل ابناءه يسرعون بتضميد جراحهم والوقوف صفا واحدا للدفاع عن دينهم وشرفهم ووجودهم وكيانهم .

وقعت معركة « عين جالوت » والتقى الجيشان الجيش المسلم المصري بقيادة سيف الدين قطز ، والجيش المغولي في عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨ هجرية « ٣ سبتمبر ١٢٦٠ م » ودارت معركة رهيبة شرسة وابدى ابناء الاسلام بسالة منقطعة النظير ، وظل نداء « وا اسلاماه » الذي يردده سيف الدين قطز يدوي في انحاء المعركة حتى نصر الله المسلمون .

وانتهت موقعة عين جالوت بهزيمة ساحقة للمغول وبانتصار عظيم للامة الاسلامية .

والآن ..

التاريخ كما قلنا يعيد نفسه .. فها هي الصليبية متعاونة مع الشيوعية - والصهيونية على حرب الاسلام ، متفانية في الكيد له..

افرز التحالف الدنس ضد الاسلام تطبيقات عملية فرأينا زرعا لجسم دخيل في قلب الامة الاسلامية والعربية ، هذا الجسم هو ما يطلق عليه دولة اسرائيل .. اسرائيل هذه التي كانت عملا مباشرا للتحالف الصليبي والشيوعية ضد الاسلام .. أسرائيل هذه التي وقفت بريطانيا الصليبية وراء انشائها بكل ما تملك من قوى وجهد .. واسرائيل هذه التي وقف الاتحاد السوفييتي - والولايات

المتحدة الامريكية ـ منذ الوهلة الاولى لمساندتها ومؤازرتها .. بل ويقوم الاتحاد السوفييتي الان باخطر ما يمكن عمله لتقديم الجهد البشري العلمي لاسرائيل ، ويتمثل في سماح الاتحاد السوفييتي بهجرة العقول البشرية الصهيونية الى اسرائيل .

ثم تولى الفريقان الشيوعية ـ احفاد المغول ـ والصليبية العدوان على الاسلام فسقطت مجتمعات مسلمة تحت نير الصليبية الحديثة ـ مثلا ـ عندما اقدم القس الكاثوليكي صاحب الاصابع الملوثة بدماء المسلمين : جوليوس نيريري على غزو اوغندا « بمعاونة الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا » وكانت « الجريمة » أن رئيس اوغندا وقتها كان مسلما وباعتبار ان الاغلبية الساحقة في اوغندا مسلمون كان هذا سببا كافيا ان يقوم نيريري بغزو اوغندا وقتل ابنائها المسلمين وهتك عرض فتيات اوغندا المسلمات ، ويقف العالم الصليبي سعيدا منتشيا مباركا لهذا الغزو .. ثم ناهينا عما تفعله الصليبية الحديثة في العديد من المجتمعات المسلمة ..

ثم ما فعلته الشيوعية هي الاخرى بالبلدان والشعوب الاسلامية وآخرها ما يدور في افغانستان المسلمة ..

والقائمة طويلة ويصعب حصرها .. ولكن اثبت التاريخ الحديث ان اي عمل يتم ضد الاسلام ـ كدين ودولة ـ فانه يكون قد تم الاتفاق عليه مسبقا بين الولايات المتحدة الامريكية « زعيمة الصليبية الحديثة » وبين الاتحاد السوفييتي « زعيم مغول القرن العشرين » وهكذا ..

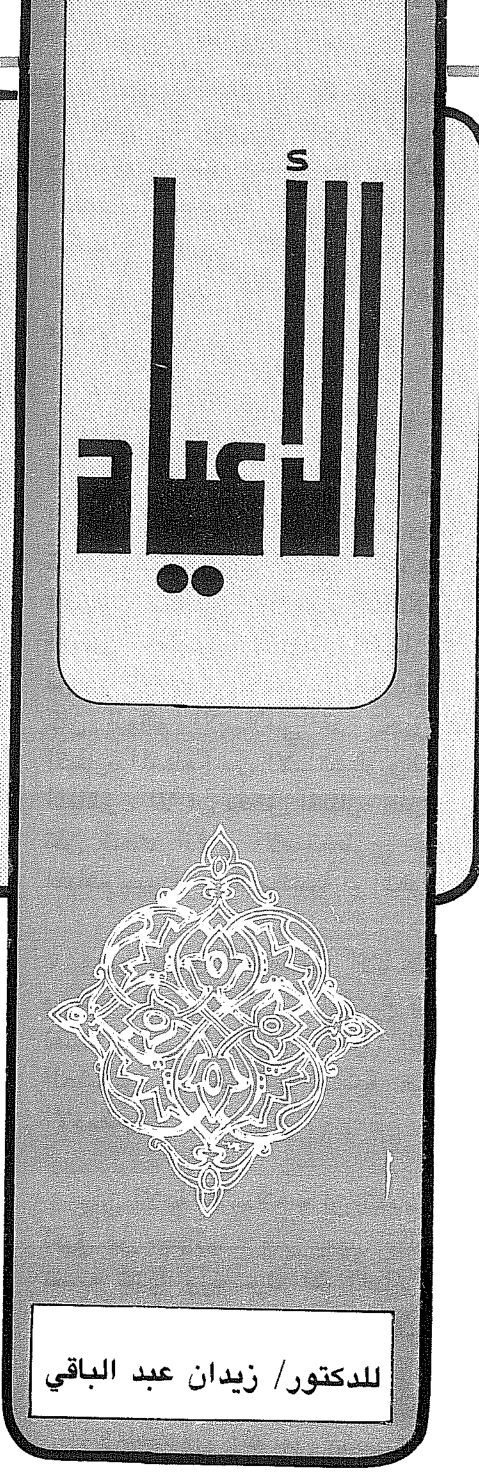
ان مسئولية العالم الاسلامي جد خطيرة في هذا القرن الخامس عشر الهجري ، هذه المسئولية التي تلزم العالم الاسلامي بأن يفيق ليرى ما تحت اقدامه وما يحمله امتداد البصر ، صحيح ان العالم الاسلامي استقل سياسيا ، ولكن علينا ان نواجه الموقف مواجهة صريحة ، فاذا كان العالم الاسلامي قد تحررت اقطاره المسلمة من الاستعمار والغزو المباشر ، الا ان بعض اقطاره مازالت تئن تحت الغزو الاستعماري غير المباشر سواء من الصليبية او المغول .

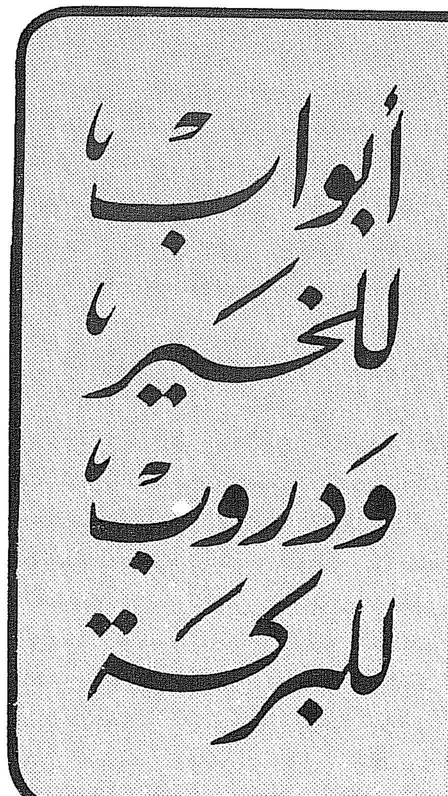
وعلى شعوب العالم الاسلامي وحكامه ان يعلموا ان التاريخ يعيد نفسه ، وان الصليبية ومغول القرن العشرين قد تحالفا ثانية ضد الاسلام .

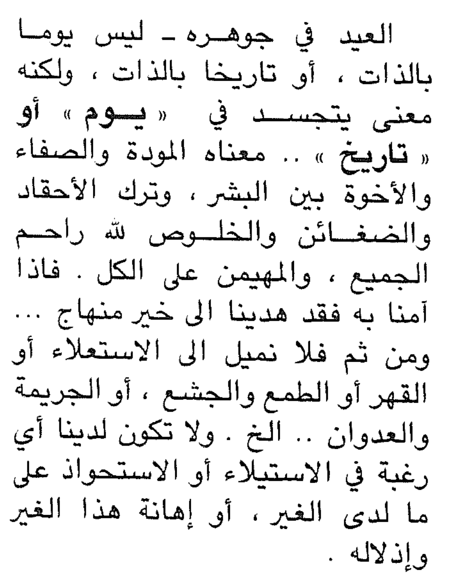
وان الامة الاسلامية لن تعدم ان تفيق من سباتها ، وان يعيد التاريخ نفسه ثانية وينصرنا الله تعالى على الصليبية ومغول القرن العشرين .

قال تعالى :

(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) الحج / ٤٠ .






العيد في جوهره ـ ليس يوما بالذات ، أو تاريخا بالذات ، ولكنه معنى يتجسد في « **يوم** » **أو** « **تاريخ** » .. معناه المودة والصفاء والأخوة بين البشر ، وترك الأحقاد والضغائن والخلوص لله راحم الجميع ، والمهيمن على الكل . فاذا آمنا به فقد هدينا الى خير منهاج ... ومن ثم فلا نميل الى الاستعلاء أو القهر أو الطمع والجشع ، أو الجريمة والعدوان .. الخ . ولا تكون لدينا أي رغبة في الاستيلاء أو الاستحواذ على ما لدى الغير ، أو إهانة هذا الغير وإذلاله .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام ـ وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشر كافة ـ منذ خلقهم والى أن يرث الله الارض ومن عليها ... هذا الدين خطا خطوة حضارية بالحياة الانسانية وبمختلف أنماط السلوك الانساني . وذلك بصبغته للأعياد بالصبغة الانسانية ، بحيث أصبح العيد ـ في ظلاله ومع مسيرة الرسالة المحمدية ـ ميقاتا كريما ـ بما تتجلى فيه المعاني السامية والأخلاق الفاضلة والعقيدة القويمة ، والعبادة الخالصة ، التي تعد جميعا ثمرات دانية القطوف لما للدين الصحيح من أثر تربوي في التنشئة الاجتماعية ـ أو التطبيع الاجتماعي ـ للأفراد .

ارتباط الأعياد الاسلامية بالعبادة

والأعياد الاسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعبادة ، بصورة تؤكد حكمة الاسلام في مزجه بين الدين والدنيا في نسيج اجتماعي واحد محكم لحمته السلوك البشري والنشاط الانساني ، وسداته التوجيه الالهي والسنة النبوية ، ليكون هذا العمل راشدا قويما . ومن هنا :

فقد ارتبط **عيد الفطر المبارك** بعبادة الصيام ليعيش فيه المسلم تغمره مشاعر الارتياح بأداء الواجب العظيم ، والنهوض بالأعباء الثقال .

و يتكرر عيد الفطر المبارك مرة واحدة كل عام ليكون « **فرحا** » وليكون « **جزاء** » على الالتزام بآداب الدين أثناء القيام بعبادة الصوم التي كفل الله لمن يؤديها ايمانا واحتسابا ما لم يكفله للمسلم في اي عبادة اخرى فقد قال صلى الله عليه وسلم « **اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي** » :

ـ اما الاولى : فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم . ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا .

ـ اما الثانية : فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك .

ـ اما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة .

ـ اما الرابعة : فان الله عزوجل يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي او شكوا ان يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرمي .

ـ اما الخامسة : فانه اذا كان اخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : اهي ليلة القدر ؟ قال : لا الم تر الى العمال فاذا فرغوا من اعمالهم وفوا اجورهم » .

وقد روي ـ ايضا ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **اذا كان**

يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على ابواب الطرق تنادي : أغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل . لقد امرتم بقيام الليل فقمتم . وامرتم بصيام النهار فصمتم واطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم » . فاذا صلوا نادى مناد ان الله قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو « **يوم الجائزة** » . وفي نطاق هذا قال تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » (البقرة ١٨٥) .

والعيد لغة اسم مشتق من العود او من عاد يعود فهو عيد لانه مناسبة متكررة وقد فطنت العامة الى هذا المعنى بقولها ـ عند تبادل التهاني ـ في الاعياد بقولهم لبعضهم البعض « **بعودة الايام** » فما احسنه دعاء ، وما احسنها تحية . اذاً العيد هو أزهى ما يحتفل به الانسان ينتظره الصغار من أبنائنا ليصيروا كبارا مثل الآباء . و الكبار ـ كذلك ـ ينتظرونه ليسترجعوا ذكريات طفولتهم وليجتروا ازهى ذكريات الحياة وليعيشوا اجمل لحظات العمر الذي انقضى منه الكثير . ولكن حلاوته لا تزال عزاء عن كبر السن .. نعم ان العيد فرح ومرح وسرور وبهجة .. بل انه بمثابة الواحة الخصبة التي يأوي اليها المسافر المجهد ليستروح في ظلالها بعض الوقت فيسترد قوته وقدرته على مواصلة السير في الطريق المرسوم لحياته على هذه الارض .

وارتبط **عيد الأضحى المبارك** بعبادة الحج إذ يكون في اليوم التالي ليوم الحج الأكبر يوم عرفة حيث يتحلل الحجيج من إحرامهم إيذانا بانتهاء الجانب الأكبر من أعمال الحج . وبالتالي تمتلىء نفوسهم المؤمنة بالتقوى والاطمئنان ، وتعتريهم أحاسيس الراحة والرضا ، والشعور بانجاز الركن الخامس من أركان الاسلام . كما يرتبط بمبدأ « **التضحية** » موضوعا ولقد كان « **عيد الفطر** » **اول عيد احتفل به في الاسلام في المدينة المنورة** » بعد الهجرة في السنة الثانية . فقد كان لأهل المدينة يومان يحتفلون بهما ويلعبون فيهما ـ في الجاهلية ـ فسأل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما هذان اليومان ، فقالوا هما يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال صلوات الله وسلامه عليه « **ان الله ابدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى** » (رواه انس) فقد حرص صلى الله عليه وسلم على ان يكون للامة الاسلامية كيانها الفائق المميز حيث نهى عن التشبه بأصحاب الملل الاخرى . ونهى عن التقليد والانقياد الأعمى واتساقا مع هذه « **الاستقلالية الذاتية للامة** » فقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتفل المسلمون بأعياد الجاهلية ومن ثم امر المسلمين باسقاط هذه الاعياد من حسابهم ومن حياتهم ايضا .

والأعياد في الاسلام اثنان لا ثالث لهما ، وكل عيد منهما مرتبط ـ كما أوضحنا ـ بعبادة من العبادات الاسلامية الأساسية ، حتى لا تكون كثرة الأعياد وعدم ارتباطها بالدين وسيلة للتفريط في الواجب أو التهاون في العمل ، أو تعظيم من ليس لهم حق في التعظيم من البشر أو الموجودات أو القيم الاجتماعية السلبية ، أو التفاهات التي يرجى لها أن تكون شيئا مذكورا في حياة الناس . ومن المعروف أن هذه الأعياد لا ترتبط بالدين ولا تنبع من القلوب وإنما تفرض على الناس فرضا... تحشد لها الحشود والبنود وعدسات التصوير . ويجري الالحاح على الاحتفال بها ليل نهار . ولولا التذكير الدائم ما احتفل بها أحد لكثرتها ولعدم اقتناع العقل الجمعي بها ، ولانها محلية ذلك أن لكل بلد أعياده الخاصة التي لا تعرف في البلاد الأخرى ، كما أن كثيرا من هذه الأعياد يتوقف الاحتفال بها بمجرد اختفاء الذين ابتدعوها من على كراسي الحكم .

ولذلك فان الاسلام ينكر مثل هذه الأعياد المزيفة ويوجب علينا الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى فحسب باعتبارهما من الأعياد الخالدة ، التي لا تفقد جلالها مهما تجاوزتها القرون حتى ولو تعرضت للحط من شأنها والنيل من مكانتها في بعض الدول .

إن الاحتفال بالأعياد في الاسلام يترفع في جوهره وحقيقته عن أن يكون مقصورا على ما نرتديه من زينة وثياب جديدة غالية ، وما نقتنيه من تحف وآثار ، أو ما ينغمس فيه بعض الشباب من اللهو والمرح والتنزه بين أشجار الحدائق والبساتين . فيوم العيد هو اليوم الذي لا نعصى الله ، يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين ، يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا . ذلك هو يوم عيدنا . وليس العيد لمن لبس الملابس الجديدة او الفاخرة .. وانما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

وترتيبا على ما حققه المسلم في شهر رمضان من انتصار على نفسه وهواه ، متغلبا على شهواته ونزواته ، فائزاً بعطاء الله .. أو ما يحققه المسلم أثناء تأدية فريضة الحج من انتصار على عادة الحياة في مستوى معيشي مملوء بالرفاهية والعودة الى حياة التقشف والبساطة حتى يحظى بغفران الله عندما يقف في عرفات أشعث أغبر ، فيشهد الله الملائكة على أنه قد غفر له ولأمثاله . صحيح أن الاسلام لا يحرم ارتداء الجديد والفاخر من الثياب ولا يحرم الفرح والاستبشار ـ في العيدين وفي غيرهما من الأيام فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى في عيد الاضحى المبارك ـ تضربان بدفين . ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجي عليه بثوب فانتهرهما فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فقال « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » رواه البخاري ومسلم .

واتساقا مع تلك التوجيهات الاسلامية التربوية ، ومع روح الاسلام السمحة ، مع روح الاعتدال

التي يتصف بها هذا الدين ، دين « **الوسط العادل** » الذي ينكر التزمت والتشدد في العبادة والسلوك ، نجد الاسلام قد شرع الرخص في العبادات تيسيرا على المسلمين ودفعا للمشقة والحرج عنهم . ومن تلك الرخص إباحته للعب والمزاح البرىء واللهو الذي لا عصيان فيه .. يقول حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي في كتابه « **إحياء علوم الدين** » ما نصه : « المزاح مطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه فاعلم أن المنهى عنه الافراط فيه أو المداومة عليه » .

ـ أما المداومة فلانها انشغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة .

! وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار وبالتالي فان ما يخلو من هذه الأمور فلا يذم ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ـ « إني لأمزح ولا أقول إلا حقا » رواه الطبراني

وعلى ذلك نرى ان الاحساس بفرحة العيد إنما يتحقق لمن أدخل البهجة على المحزون والمهموم وأنار الظلمة للضالين والحيارى في متاهات الحياة ، وأدخل الطمأنينة على خائف أو ملهوف ... ووقف مع مظلوم يدفع عنه الظلم ، ويمشي معه ليثبت خطاه .. وتقرب من يتيم ليضع على وجهه إشراقة أمل ورجاء .

ذلك هو المفهوم الاجتماعي السليم للاحتفال بالأعياد في الاسلام . ومن هنا فان تلك الاحتفالات يمكن أن تؤتي ثمارها ، وتتحقق أهدافها . وبذلك يمتزج الدين بالدنيا ، أو يقترن الجوهر بالمظهر ... فالأعياد في نظر الاسلام ـ لا تكون أعيادا ، وهناك من يعيش بين المسلمين في تعاسة وشقاء ... ولا تكون الأعياد أعيادا وهناك صدور مكلومة تطوي على الجوع ، ونفوس يؤرقها اليأس ، ويمزقها البؤس .. ولا تكون الأعياد أعياداً وهناك عيون محرومة .

ان الاحتفال بالأعياد ـ والحالة هذه ـ يوجب علينا أن نجعل من أعيادنا مصادر للخير ومنابع للرحمة بحيث يكون المسلم عونا لأخيه ، يمده بالمساعدة ، ويمنحه المساندة .. فالله في عون المسلم ما دام المسلم في عون أخيه .. والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

الأعياد مواسم للتصافح والتسامح

وحبذا ـ ونحن نحتفل بعيد التضحية والفداء ـ لو حققنا الهدف الاجتماعي الديني للاحتفال بالعيد ، وهو أن نتصافح ونتسامح ، ونزيل الخصومات والأحقاد ... وندعم أواصر المحبة والمودة ، مستظلين براية الاسلام متوحدين في عقيدتنا ، متجمعين في رحاب ديننا القويم .. إننا إن فعلنا ذلك نستطيع أن نحيل ـ بذلك ـ الاحتفال بالعيد الى دعوة للترابط والتآلف ، دعوة تكون منطلقا الى العزة والكرامة ، الى المجد

والشرف ، فيصبح عيدنا ، عيدا في الأرض ، وعيدا في السماء .

ولقد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في هذا المجال :

ـ **فعيد الفطر** يبدؤه المسلم الصائم بتمرات يأكلها أو بقليل من الماء ، ثم يتجه الى المصلى لاحياء شعيرة من شعائر هذا العيد ، وهي تلك التي تبدأ بصلاة الفجر ، وتنتهي بعد صلاة العيد يوم الفطر لقوله تعالى : **(ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)** البقرة/ ١٨٥ .

ـ بينما **عيد الاضحى المبارك** لا افطار فيه الا بعد الصلاة ، حيث يأكل المضحي من أضحيته . ومن شعائر هذا العيد أداء صلاة الأضحى ويستمر التكبير حتى آخر أيام التشريق حيث يكبر المسلم عقب صلاة الجماعة في الأيام الثلاثة تكبيرات ثلاثة مصحوبة بكلمة الحمد وشهادة التوحيد . أي من صبح يوم عرفة الى عصر آخر أيام منى ، لقوله تعالى : **(واذكروا الله في أيام معدودات)** البقرة/ ٢٠٣ قال ابن عباس ، هي : **أيام التشريق وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة** .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام الثلاثة ، سواء قبل الصلاة أو بعدها ، أو في الطريق أو في المجالس وصيغة التكبير كما وردت عن ابن مسعود : **الله أكبر الله اكبر لا إله إلا الله ، والله اكبر الله اكبر ولله الحمد** .

وهناك صيغة أخرى للتكبير مزيدة بواسطة بعض المذاهب وهي : **الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ... الى آخر الصيغة المشهورة** .

وهذه الصيغة أو تلك بل والتكبير نفسه أمر مندوب وبالتالي يجب ألا يصرفنا تفضيل هذه الصيغة أو تلك عن جوهر الدين نفسه .

ومن شعائر الأعياد في الاسلام ـ أيضا ـ العطاء فمع عيد الفطر صدقة الفطر ومع عيد الأضحى التصدق بجانب من لحم الأضحية ، حتى يعيش المجتمع المسلم في رحاب المشاركة ، البارة ، وحتى تقتلع بذور الضغينة من القلوب المسلمة ... فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفعل كل ذلك بجوار حرصه على ارتداء أحسن ثيابه كما كان يغتسل ويتطيب ، ويسلك في ذهابه الى المصلى وعودته منها طرقا متباينة ليحيى وليهنىء اكبر عدد من المسلمين بالعيد .

اننا لا نتوقع ان ينقلب الناس ـ كل الناس ـ أخيارا أبرارا طوال العام أو طوال الحياة وانما لا أقل من أن يكونوا كذلك يوما أو يومين أو بضعة أيام أو شهور من كل عام ، لعلهم اذ يذوقون حلاوة الحياة الناعمة من غير غل او حقد او طمع أو رغبة في الاستيلاء والقهر ان تغريهم تلك الحياة بالمزيد منها بقية ايام وشهور العام ، أو على الأقل بالتخفيف من ضراوة الاستجابة السريعة لنزوات الغرائز .

الأهداف الاجتماعية للأعياد الاسلامية

وبجوار حكمة الأعياد الدينية فان لها أهدافا اجتماعية تنبع منها وترتبط بها . ومن ثم يجب على المسلمين أن يحققوا فيها معاني الاخاء والولاء بعضهم لبعض ، بمعنى أن يعطف الكبير على الصغير ويحنو الغني على الفقير . ويجود الموسر على المعسر . وينشر كل مسلم جناح الرحمة على من حوله من أقاربه بالوصل والتعاطف معهم والاغداق عليهم بروح المحبة والمودة .

ذلك أن أجل وأعظم الأعمال التي يقوم بها المسلم في العيد وفي غير العيد .. أن يطعم جائعا ، أو يكسو عريانا ، أو يمسح دموع الباكي .. فان عظمة مثل تلك الأعمال ترجع الى أن الاسلام يربط العبادة لله بأنماط السلوك مع خلق الله ... يمنحهم العطف والحنان .. بالكلمة الحلوة ... والبسمة المشرقة .. والمعاملة الطيبة .. والمعاشرة الحسنة .. ولين الجانب فاذا ما تحققت هذه الانماط السلوكية الدينية الايجابية ، والتي تنبع من اليقين والايمان .. تنتشر المحبة والمودة ، وتزداد الأواصر الاجتماعية تماسكا ، ويشتد المجتمع ترابطا واتساقا مع روح الانسانية . ويصبح المسلمون في ظلال دينهم الحنيف إخوة متحابين قلوبهم متصافحة وأرواحهم متعانقة وأياديهم متكاتفة ، فتتجلى وحدتهم ؛ وتظهر قوتهم ، ويرهبهم الأعداء .. وبالتالي تصبح الأعياد أبوابا للخير ودروبا للبركة .

وكان من أبرز الأعمال التي يأتيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم عيد الفطر المبارك أن يرسل مناديا ينادي في الناس أن أدوا الزكاة قبل صلاة العيد وفي حديث ابن عباس المرفوع أذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة الى الارض فيقومون على افواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون : **يا امة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم . فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله عز وجل يا ملائكتي ما جزاء الأجير اذا عمل عمله ؟ فيقولون : الهنا وسيدنا ان توفيه اجره فيقول سبحانه وتعالى « اشهدكم اني قد جعلت ثوابهم عن صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي انصرفوا مغفورا لكم »** .

ليلة ويوم في صحبته صلى الله عليه وسلم

فهيا يا أخي المسلم نبقى بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال الليلة الاولى واليوم الأول من شهر شوال عسى ان تجلو تلك الصحبة جانبا من سنة الرسول الخالدة الباقية . وتوضح لنا اعماله واقواله في ذلك اليوم العظيم .. ماذا كان يفعل عقب نهاية اليوم الأخير من رمضان ؟ وماذا كان يفعل اذا اصبح في اليوم

الاول من شوال ؟ وكيف كان يغدو الى المصلى ؟ وما الذي كان يأمر به ويحض على ممارسته في يوم العيد .

غير اننا قبل ان نعود الى الوراء اربعة عشر قرنا لكي نشرف ـ تصورا ـ بصحبته صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم العظيم « **يوم الجائزة** » فاننا يجب ان نلتزم بآداب ديننا الحنيف عسى ان نحظى بموافقته على صحبتنا أياه . واول تلك الاداب ان نقترب همسا من « **منبره** » وان نغض من اصواتنا وانما تهليل وتكبير في خشوع المتقين لقوله تعالى « **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ..** » (الحجرات ٣) وان نقتصد في مشيتنا فلا جري ولا هرولة وانما مسيرة الخاشعين المتقين لقوله تعالى « **واقصد في مشيك واغضض من صوتك** » (لقمان ١٩) .

ولما كانت بيوت امهات المؤمنين رضوان الله عليهم بجوار « **منبره** » صلى الله عليه وسلم فان من الآداب الاسلامية الا ندخل الى بيوتهن الا بعد الحصول على ترخيص بذلك لقوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحيي من الحق ..** » (الاحزاب ٥٣) . ولان « **الزمان** » لا يسمح باعداد الاطعمة والاشربة فاننا نشكر الداعي سلفا ـ على ما كان يمكن ان يقدم لنا من طعام ونلتقي بصحبتنا له خارج منزله بمعنى اننا سوف نلبي دعوته الكريمة ـ اذا تفضل بدعوتنا ـ لنستأنس بحديثه صلى الله عليه وسلم ولنحظى بتوجيهاته .. وهي دعوة ـ نعتقد اعتقادا جازما ـ انها مفتوحة للجميع .. فهاهي بيوت امهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم اجمعين ـ تتصل ابوابها بمسجد المدينة . وها هي رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج من منزله محملة بزكاة الفطر لتوزيعها على الفقراء ثم تعود لتحمل غيرها من اجل توزيعها على المستحقين . وها هو صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ما انغمض له طرف ولا استقر به مضجع .. وعندما شاهدناه صلى الله عليه وسلم على هذا النحو اندفعنا نفعل مثله بعد ان تداعى الى أذهاننا قوله فيما يرويه ابو امامه « **من اقام ليلتي العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب** » ومن ذا الذي يرغب في موات قلبه ؟ حياك الله يا سيدي يا رسول الله يا ذا القلب الذي لم يمت ابدا .

وبعد ان افقنا من حالة الانبهار هذه ووجدنا انفسنا نصلي مثله فاذا هو يستريح قليلا حتى اذا طلع الفجر اغتسل عليه الصلاة والسلام وتطيب ولبس أحسن الثياب وأفطر على تمرات قبل ان يخرج للصلاة ثم صلى الصبح وتوجه الى صلاة العيد . وسار معه في

طريقه الى المصلى عدد من اصحابه اشار اليهم عبد الله بن عمر في قوله « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في العيدين مع الفضل ابن عباس وعبد الله بن عباس وعلي وجعفر والحسن والحسين واسامة ابن زيد وزيد بن حارثة وابن ام ايمن .. رافعا صوته بالتهليل والتكبير يأخذ طريق الحدادين حتى يأتي المصلى ..** » وكل ذلك ونحن منذ مطلع الفجر نفعل ما يفعل حتى اننا كنا نهتف معه ومع اصحابه بصيغة التكبير التي وردت عن عمرو ابن مسعود وهي « **الله اكبر ، الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبر الله أكبر ولله الحمد** » .

وهالنا عندما انتهينا الى المصلى ان نجد المسلمين وقد احتشدوا رجالا ونساء حتى الكواعب والعذارى وما رأيناه أكدته عائشة رضي الله عنها بقولها « **قد كانت تخرج الكعاب من خدرها لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم في العيدين** » وقد امرهن النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العيدين فقال « **وجب الخروج على كل ذات نطاق** » لتشهد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنسمع في ذلك رواية احمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « **شهدت الصلاة يوم الفطر مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان يصلي قبل الخطبة ثم يخطب بعد ..** » .

وبعد ان ادينا صلاة العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد من طريق غير الطريق التي جاء منها ، وهو يسلم على الناس وتسلم عليه الملائكة ويبادل الجميع التهاني حتى اذا بلغ منزله سلم على اهل بيته ، ثم خرج لزيارة المسلمين وتفقد احوالهم حتى اذا اذن بلال لصلاة الظهر اجابه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من حوله يرمزون للوحدة والمحبة ولطاعة الله ورسوله . حتى ينقضي العيد .. وهكذا انتهت صحبتنا له صلى الله عليه وسلم وعدنا من حيث اتينا .

ولكن تبقى سنته خالدة باقية حتى يرث الله الارض ومن عليها .

تلك هي الأعياد وتلك هي توقعاتنا بالنسبة للاحتفال بها ، توقعات لا نأمل منها أن يصبح الناس فيها ملائكة ابرارا ، ولكننا نأمل فقط ان يكونوا اقل ضراوة وشراسة ، واكثر انعطافا نحو الرحمة والبر والحب والتسامح . فان فعلوا ذلك فقد حققوا معنى العيد ، كما اراده الله وكما حدد ملامحه ديننا الحنيف والسنة الشريفة . مع وديان الاعياد وفي ظلال خضرتها اليانعة وأهدافها السامية وأطرها الاسلامية ، ندعو الله أن يجعل مستقبل أمتنا المسلمة مستقبلا أسعد وأن يجعل غدها ارغد . كما ندعوه أن يجعل مجتمعنا الاسلامي الكبير أعز وأقوى .



عندما ننظر اليوم الى التقدم المذهل الذي احرزته الانسانية في علوم الطب الحديث في اوروبا وامريكا وسائر انحاء العالم فقد لا يخطر ببال اكثر علماء الغرب انصافا للاسلام بل في بال العلماء المسلمين انفسهم ان الاسلام هو صاحب الفضل الأعظم في هذه الحضارة العلمية الهائلة .. فكيف كان ذلك .. وما هو دليلنا عليه ؟.

○ **الطب قبل الاسلام :**

من المعروف انه قبل ظهور الاسلام كانت الفكرة السائدة في العالم كله وفي

الاديان السابقة ان المرض شيطان يدخل جسم الانسان عقابا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة ، وان السبيل الوحيد للشفاء هو صلاة الغفران لكي تطرد شيطان المرض من جسم المريض .

فاذا لم تشفه الصلاة فمعنى ذلك ان ايمانه ضعيف .

ولم تكن هذه الفكرة قاصرة على اوروبا المسيحية وحدها .. بل في اسيا وافريقيا .. كان الاعتقاد السائد ان هناك الها للشر والمرض ، والها للخير والشفاء وان الصراع بينهما ينتهي بتغلب احدهما على الانسان .

وفي تلك العصور لم تكن الانسانية وخاصة في اوروبا تفهم قيمة النظافة ولا فائدتها ، بل كانت القذارة تعتبر من الايمان وفي هذا يقول الفيلسوف البريطاني « برنارد شو » كانت القذارة تشكل جزءا لا يتجزأ من الورع المسيحي ..

ولم تكن كلمة التعقيم قد ظهرت في الوجود او استعملت في معناها المتداول اليوم .

وكانت محاولة الوقاية من المرض تعتبر ضربا من التحدي لارادة الله والسخط على قدره وبلائه .. ولم تكن مهنة الطب تنال احترام الناس او تقديرهم ، بل ينظر اليها كنوع من الدجل والشعوذة ولم تكن هناك نظم او قوانين لحماية المهنة من الدخلاء او تأمين العاملين بها ، ولم تكن هناك رخص طبية او شهادات رسمية .

كانت الكنيسة تمنع الناس من التداوي وتحارب الاطباء والعلماء ، وتأمر بحرقهم وبحرق كتبهم او تضعهم على الخوازيق بتهمة الشعوذة والسحر والخروج على تعاليم الدين و سلطان الكنيسة ، وكانت تقف في وجه البحث العلمي والطبي وتحرمه .. وخير وصف لهذه الفترة ما جاء في كتاب برنارد شو : « حيرة الاطباء » بقوله :

« والكتاب المقدس صريح جدا بموضوع علاج الامراض . فرسالة جيمس الاصحاح الخامس رقم ١٤ ، ١٥ تحتوي على الارشادات الواضحة الآتية :ـ

« أيوجد بينكم شخص مريض فليدع اذا شيوخ الكنيسة ، وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب . ثم ان صلاة الايمان سوف تبرىء المريض ولسوف يرفعه الرب الى اعلى واذا كان قد ارتكب اوزارا فسوف تغفر له » .

وقد جاء في انجيل متى ٢١ : ٨ ـ ٢٢ ما يأتي :ـ

« عندما عجز الحواريون عن شفاء رجل شفاه المسيح ، سألوه لماذا لم نقدر نحن ان نشفيه ، قال لعدم ايمانكم ، الحق اقول : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن » .

وهكذا كانت الفكرة المسيطرة في اوروبا ، والتي تبنتها الكنيسة كعقيدة راسخة هي ان الايمان له تأثير عادي على الانسان ، وان حرارة الايمان وقوته تذيب شيطان المرض وتحرك الجبال :

« بالايمان قهر اناس ممالك وسدوا افواه اسود واطفؤوا قوة النار ونجوا من

حد السيف » من انجيل بولس ١١ : ٣٣

ومن الافكار الخطيرة التي تبنتها الكنيسة ايضا ان يكون الشفاء والعلاج بأيدي رجال الدين وحدهم .. وان الله قد حباهم القدرة على الشفاء عن طريق الصلاة والدعاء .

فقد جاء في انجيل متى ١٠ : ١ وفي لوقا ٢٠/ ٩ .

يقول بولس : « ومن مزيته التي لا يفاضله فيها نبي ولا رسول ، انه افضى بالقدرة على اتيان المعجزات والشفاء الى تلاميذه ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده الى السماء واورث كنيسته تلك القدرة ايضا . » ويعقب الكثير من المستشرقين على ذلك بقولهم : « ان المسيحي المخلص لدينه كان يهتز في ايمانه اهتزازا عنيفا عندما يمرض البابا ولا يستطيع التغلب على مرضه » .

وكانت الكنيسة تحارب النظافة ، وتعتبر القذارة جزءا من التقوى والورع . وتعتبر من يعتني بنظافة ملبسه او بيته او جسده طامعا في الدنيا ، فقد جاء في الانجيل : « من أراد الفردوس فعليه بخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب » وهذا الزهد في الطعام مما يؤدي الى سوء التغذية :ـ « لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون » .

اثر هذه التعاليم في الطب الغربي القديم :

وبديهي ان يكون لهذه التعاليم خطرها على الحالة الصحية في اوروبا ، وخاصة في القرون الوسطى عندما ساد الحكم الثيوقراطي ، وتحكم رجال الكنيسة والكهنة في كل شؤون الحياة ومن بينها الطب والعلاج . ولذلك عندما ظهر الطاعون في أوروبا سنة ١٣٤٧ ميلادية انتشر فيها بسرعة هائلة بسبب القذارة والجهل حتى قتل ٢٥ مليون نسمة من تعداد سكان القارة الذين كانوا لا يزيدون عن مائة مليون .. اي ربع سكان القارة . وكان العلاج الوحيد الذي تسمح به الكنيسة هو جلد المرضى بالسياط لتخليص اجسادهم من الشياطين ومن لعنة الله . وقد ظلت هذه الافكار سائدة في اوروبا حتى بعد نهضتها وتخلصها من الحكم الثيوقراطي الكهنوتي لفترة طويلة وفي هذا يقول برنارد شو :ـ

ان الكثير من الفلاحين في اوروبا كانوا يقدمون الى المحاكمة بتهمة القتل غير المتعمد عندما يموت احد ابنائهم من المرض بسبب استغنائهم عن الطب والاطباء واكتفائهم بدعوات رجال الدين لمرضاهم . وفي وسط هذه الظلمات التي عمت القارة الاوروبية .

وفي الوقت الذي كان رجال الدين فيه في انحاء اوروبا يحرقون الاطباء والعلماء ، ويعاقبون بالموت كل من يحاول استعمال عقله او علمه في شفاء المرضى ، ظهر في جزيرة العرب المعزولة عن الدنيا النبي العربي الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. فاذا به يأتي بتعاليم جديدة في كل شؤون الحياة ومن بينها مسائل الطب

والعلم . ويأتي بفهم جديد متنور عن قضية المرض والطب والدواء . بل اكثر من هذا يضع قواعد علمية للوقاية من الامراض السارية وقواعد لتنظيم مهنة الطب والعلاج تكاد ان تكون معجزة بمقاييس عصره وزمانه بل بمقاييس عصرنا هذا .

○ المفاهيم الاسلامية عن المرض والطب والعلاج :

١ ـ واول هذه المفاهيم التي جاء بها الاسلام ان الايمان لا يمنع من المرض . اي ان الانسان اذا مرض فلا يعني ذلك ضعفا في ايمانه او ان الشيطان قد خالطروحه وحال بينه وبين ربه .. ولكن المرض هو قدر الله وبلاؤه ، وقد يصيب المؤمن كما يصيب الكافر :

(**ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب**) الحديد/ ٢٢ .

والمؤمن اذا صبر فله ثواب الصبر على البلاء . وكان المسلمون يسألون الرسول اذا كان يوعك مثلهم ومثل سائر البشر فيقول لهم : « إني اوعك كما يوعك رجلان منكم » رواه احمد ومسلم عن ابن مسعود .

٢ ـ ولم ينكر الاسلام ما للايمان من فضل في رفع معنويات المريض مما يساعده على التغلب على مرضه . ولكنه لا يعتبره مصدرا وحيدا للشفاء والتأثير المادي بل امر المسلم ان يبحث عن الطبيب ويتعاطى الدواء الذي يصفه له . وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله .. فان الله لم ينزل داء الا جعل له دواء » رواه أبو داود .

٣ ـ وقد جاء الاسلام لينفى عن رجال الدين الحق المقدس في شفاء المرضى او احياء الموتى ، بل نفى هذا الحق عن الرسول نفسه فيقول تعالى : (**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**) الأنبياء/ ٣٤ . ويقول : (**ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء**) الأعراف/١٨٨ ، ويقول الرسول : « انتم اعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن انس بن مالك .

٤ ـ وقد نفى الاسلام ان تكون الصلاة والدعاء والتفاؤل وحدها ، وسيلة لشفاء المريض او طرد شبح الموت عنه او تغيير ما قدره الله له . وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك لا يرد شيئا ولكنه يطيب نفس المريض » رواه الترمذي .

٥ ـ ويعلن الاسلام ان محاولة الوقاية من المرض او علاج المرض لا تعتبر هربا من قدر الله وان الانسان اذا نجا من المرض بفضل رعايته للقواعد الطبية او تناوله دواء معيناً فمعنى ذلك ان الله قد كتب له النجاة بهذا الدواء . فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : « يارسول الله ، هل في تقاة نتقيها وفي دواء نتعاطاه هل ترد [ذلك]من قدر الله شيئا قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك « هي من قدر الله » رواه احمد وابن ماجة .

٦ ـ وانطلاقا من هذه النظرية الجديدة التي جاء بها الاسلام فقد اهتم بمهنة

ومطامع القوى الكبرى

للأستاذ : محمد فوزي حمزة

وزير هام ، ولكن يعقوب لم يلبث ان لقي ربه وحمله أبناؤه الى أرض كنعان ، ولم يكادوا يفرغون من دفنه ويعودون الى مصر حتى اتى يوسف أجله هو الآخر ثم قضى ، وبوفاة يعقوب ويوسف انقضى جيلان من أجيال النبوة في بني اسرائيل ، ذهب الانبياء وبقي الشعب المشاغب ، وظلوا في أكناف فرعون يتقلبون في عزته وينعمون بنعمته ويحتفون ببقايا الكرامة التي كان قررها ليوسف ، ولكن عاداتهم السيئة وجدت في عزلتهم في أرض غوشن مرتعا خصبا تنمو فيه وتزداد تأصلا فيهم وتغلغلا بينهم ، حتى اذا أتى الغزو الهكسوسي ، والآثار التي تركتها الامبراطورية المصرية عن مشرق الاسرة الثامنة عشرة لتفصح افصاحا كبيرا عن تزامن الغزو الهكسوسي مع تواجد بني اسرائيل بمصر ، كما تفصح البرديات التي ادخرتها الايام منذ فجر الزمان عن « الترابط الواضح بين (آباء التوراة) وما يقصه سفر التكوين » فنبه هذا الغزو عادتهم المعروفة في خيانة البلاد التي تأويهم ، فنسوا ما قدمت لهم مصر واحتضنوا الجيش الغازي ، وانحازوا اليه ودلوه على طريقهم وأدلفوه بينهم وجعلوا له عيونا منهم ، وكان جل تقديرهم ان مصر بلد ليس لهم عاشوا فيها يقطفون خيراتها ما دامت فيها قوة تكفلهم ، فلما وهنت قوتها واتاها العدو وأدركوا انه غالب عليها ، انحازوا اليه ، ليضمنوا مركزا متميزا عند ملك الهكسوس ، وبالفعل كافأهم ملك الرعاة وأعطاهم ملكا وبوأهم منصبا ، وبسط عليهم من ألوان العزة ما صرفهم عن ترتيب أمورهم للعودة الى فلسطين ، بل وكاد ينسيهم فكرة الارض الموعودة ذاتها ويمحوها من أذهانهم .

○ الذلة بعد النعمة :

وأخذت بيوت اسرائيل تنمو وتنتشر ، « وكان من الطبيعي ان يتكاثر أبناء اسرائيل وان تثمر منهم الفروع عبر الزمن منذ أواسط العصر الهكسوسي وحتى حكم الامبراطورية المصرية ، حيث تهيأ لمصر ملك قوى هو أحمس الاول استطاع أن يجلي الهكسوس .. وبزوال الغبار الهكسوسي عن مصر ، فقد بنو اسرائيل مركزهم المتميز الذي ميزهم به ملوك الرعاة ، وانحسرت ألوان العزة التي رفت على أسلافهم ، وأخذت الذلة تعرف طريقها اليهم ، اذ

أن فرعون الذي تنبه لخطرهم وعرف كيدهم لم يشأ أن يطردهم من مصر ويقتلع جذورهم ، ولكن ضرب عليهم ألوانا من الذلة والاستعباد ، وحذر شعبه منهم بعد ان أصبحوا كثرة يخشى خطرها اذا أقبل الاعداء وانحازوا اليهم ، وأنزلهم منزلة مهينة حتى ان متون التاريخ المصري لم تعد تستلفتها هذه الجماعة التي تعيش منسية في حضيضها تحت نير التسخير والاستعباد ، ولكن المهم جدا ان هذا الاستعباد لم يكن اعتداء مجانيا من فرعون ، ولكن كان ـ وباعتراف الكتاب المقدس نفسه ـ لسبب وجيه جدا استحق أن يخيف منهم مملكة عظيمة كمصر وملكا مهيبا كفرعون ، وهو انحيازهم في الحرب لاعداء البلاد التي أكلوا خيراتها .

○ مجددا .. يخونون مصر :

الا أن هذه الجماعة المستذلة « ظلت تعيش في مصر الى عصر الاسرة الثامنة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني وظل أمرها في نمو وتكاثر ، وكانت مصر قد « قدمت اليهم عندما هاجروا اليها عام ١٦٥٦ق .م بسبب المجاعة التي حلت بأرض كنعان كل صنوف الكرم وحسن الضيافة ، ومع ذلك لم تلق منهم الا كل صنوف الجحود والتمرد والتآمر . وظلت هواية الخيانة والانحياز الى الاعداء تلازمهم الى عهد الملك منفتاح ، ذلك الفرعون الذي كان قد ورث عن أبيه تركة بالغة التعقيد أثقلته متاعبها الداخلية والخارجية معا ، والذي يعنينا هنا هو المتاعب الخارجية والدور الذي أداه فيها بنو اسرائيل من أرض جوشن حيث كانوا يسكنون ولكي نوضح نقول ان مصر في هذه الفترة كانت تواجه غزوا من ثلاث جهات ، من الشرق حيث زحفت عليها فلول آسيا ، ومن الشمال حيث هاجمتها الجماعات التي أطلقت عليها النقوش المصرية اسم « أقوام البحار » ، ومن الغرب حيث انتهز اللوبيون الفرصة وأسرعوا يداهمون الاراضي المصرية ، في هذا الوقت الذي تداعى فيه الاعداء على مصر كما تداعى الأكلة على قصعتها ، كانت خيانة جديدة من بني اسرائيل ، ولم يكن صدفة ان يدخل الجيش اللوبي من أرض جوشن بالذات ، ولكن دخولهم منها كان بعد تمهيد من جواسيسهم وعيونهم الذين ضمنوا لهم انحياز ابيات اسرائيل الساكنين فيها ، وما كان أسهل على لوبيا من أن تكسب انحيازبني اسرائيل وقد ألفوهم من قبل ينحازون للهكسوس ، وما كان أسهل على بني اسرائيل من أن يبيعوا بلدا ليس لهم وليسوا الا بعض من أووا اليه ، ولكن فرعون استطاع ـ رغم متاعبه ـ ان يسيطر على الموقف ، ويرد مهاجميه بما فيهم الغزو اللوبي ، ثم يتفرغ لتأديب بني اسرائيل ، على خيانتهم اذ انقلب عليهم من بعد ما أكرمهم آباؤه ، ولكن .. لم يكن بغير جريرة انه اضطهدهم وأنزل بهم فنونا من الذلة ومن عذاب الهون ، وسلط عليهم شعبه ليستذلوهم ويستعبدوهم

في أكثر الاعمال شقوة وصعوبة وهي أعمال البناء والهدم وصناعة الطوب ، ولنا هنا ان نلاحظ ان الشعب الذي ظل منسيا في السخرة التي ضربها عليه المصريون منذ العصر الهكسوسي الى عصر منفتاح ، اصبح الآن ملفتا للنظر وجديرا بان تهتم به سجلات الحكومة المصرية ، وهذه الجدارة لم يكتسبها بنو اسرائيل من حيث أنهم تزايدوا وأصبحوا كثرة ، ولكن من حيث أصبحت لهم أهمية سياسية أكسبها لهم عمل سياسي كبير ، وماذا في سياسة مصر - وهي تحارب على جبهة لا كمثلها عرضا وطولا تمتد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب مرورا بالشمال كله - يكون أكبر من خيانة قوم يقيمون فيها في أرض جوشن ينحازون الى العدو ويفسحون له ليخلقوا لفرعون هماً جديدا على ما عنده من هموم ، حتى انه اضطر الى احداث خلخلة في جيوشه عندما اضطر الى سحب صفوف من المحاربين في الشرق ليرد على الهجوم اللوبي .. ان فرعون كان معذورا اذا اضطهدهم بعد ذلك وعدهم في اعدائه وتهيأ للقضاء عليهم .

ونحن لسنا بدعا فيما نقول ، فان التنزيل الحكيم يسجل أطرافا من هذا الاضطهاد ، ويشهد على هذه الانتكاسة التي حلت ببني اسرائيل على يد فرعون ، كما أن المتون التي عثر عليها في أنقاض معبد منفتاح تسجل بوضوح ان فرعون سلكهم في أعدائه وقطع شوطا كبيرا في سبيل القضاء عليهم بعد هذه الفعلة ، فان ثمة قصيدة شعرية تصف انتصار المصريين على الاعداء ، بدأها الشاعر المصري القديم بلوبيا وختمها ببني اسرائيل ، تقول هذه القصيدة التي لا نشك في أنها نظمت أبياتها ابان احتفال منفتاح بانتصاراته :

ان تحنو « لوبيا » قد أقفرت ..
عسقلان أزيلت ..
فاتي أمست مسالمة ..
جيزر قبض عليها ..
بنوم أصبحت لا شيء ..
واسرائيل قد أقفرت وبذرتها انقطعت ..

(والقصيدة كشفت عنها الباحثة فلندرز بتري ١٨٩٦ م وهي تستعرض النصر الذي حققه منفتاح في اليوم الثالث للشهر الحادي عشر من السنة الخامسة من حكمه) ويقيني ان هؤلاء اعداء فرعون ، لوبيا ، وأقوام البحار ، وفلول آسيا ، واسرائيل ، اولئك الغرباء الساكنون في أرض غوشن ..

وهذه الانقلابة الفرعونية الفظيعة ، كانت ولا شك وراء خروج بني اسرائيل من مصر ، وقد ذهبت الاستاذة (أبكار السقاف) الى أن فرعون لم يهدأ له بال حتى طردهم من مصر طردا ، وبذلت جهدا كبيرا في كتابها القيم (اسرائيل .. وعقيدة الارض الموعودة) لتثبت التزامن بين زمن الخروج وزمن الغزو اللوبي ، وأنهم بعد فشل الغزو خرجوا من مصر مطرودين بيد فرعون لا فرارا منه ، ونحن مع تقديرنا التام لجهد الاستاذة السقاف ، لا نستطيع ان نشايعها في

ان بني اسرائيل خرجوا مطرودين ، فان تزامن خروجهم مع فترة الغزو اللوبي شيء ، وخروجهم مطرودين أو هاربين شيء آخر ، ليس بالضرورة نتيجة حتمية هذا التزامن ، والاستاذة السقاف تأخذ دليلا آخر من رواية الكتاب المقدس التي قررت (المرة تلو المرة) انهم خرجوا مطرودين .. ولكن الرواية المقدسة اضطربت وتلجلجت في هذا الامر ، فتارة يفهم منها انهم طردوا من مصر وأطوارا يفهم منها انهم خرجوا هاربين ، وعندنا ان فرعون كان له سبب وجيه يدعوه لان يضطهدهم في أرضه ولا يطلقهم ، ذلك انه لا بد كان يقدر انهم اذا خرجوا من مصر ووقعوا في حبائل أعدائها .. دلوهم على مكامنها وساعدوهم على غزوها ، خاصة وان وشائج قربى تربطهم باهل الشمال في مدين وارض كنعان ؛ وفي العراق حيث الكلدانيون الذين كانوا هم الاعداء التقليديين لمصر في ذلك الزمان .. ونحن اميل الى انهم هربوا من بأس فرعون الذي جرد وراءهم حملة تحصرهم وتوسعهم النكال والقتل ، وكاد يدركهم لولا أدركه قضاء الله ، ودليلنا على هذا الهرب من بني اسرائيل والطلب من جانب فرعون قول الحق تبارك وتعالى لموسى : (**فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون**)(الدخان / ٦٢) أي يكون في أثركم من يطلبكم في البرية ، وكذلك صرخة بني اسرائيل لموسى وقد أوشك أن يدركهم جنود فرعون : (**إنا لمدركون**) الشعراء / ٦١ ومهما كان من أمر خروجهم فانه يرتبط ارتباطا وثيقا بالقضاء على الغزو اللوبي وبقية الغزاة الذين زامنوه ، كما أنه يعتبر آخر المطاف في أمر وجودهم في مصر كأمة غريبة أوت الى مصر فأكرمتهم ورفعتهم وجعلت منهم وزيرا هاما يشار عليه ويدار اليه ويجاب الى ما طلب ، ثم كانت عاقبة احسانها اليهم انهم انحازوا الى أعدائها وتآمروا عليها وعلى امنها ما داموا فيها .

○ سماسرة الحرب .. في منعطف الطريق :

خرجوا اذن من مصر ، وقضوا دهرا في سيناء انزلت فيه التوراة على موسى الذي أتم مهمته وادى رسالته ولقى ربه ، وتولى من بعده يشوع بن نون الذي غزا بهم نواحي من فلسطين ودخلها بهم عنوة على أهلها ، وكان شاؤول بعد يشوع ، ثم استقرت لهم دولة في عهدي داوود وسليمان لم تدم أكثر من سبعين عاما ، هي كل ملكهم في الزمن القديم ، ويكون مناسبا هنا أن نورد من قال ان داوود انتهز « فرصة وجود خلاف بين مصر والعراق وتقسيم سوريا فوسع ملكه وقهر الاراميين في دمشق ... وجاء من بعده ابنه سليمان ... وظل تحت نفوذ مصر مسلما لها بالسيادة حتى وفاته .. » كما يكون مناسبا هنا ان نحيط بأن داوود نفسه كان في عهد استتبابه يعامل بني جلدته بحذر شديد لما علم من خيانتهم وانحيازهم

للاعداء ، شهدت بذلك الرواية المقدسة ذاتها ، اذ اتاه بعضهم يطلب حلفه قال لهم في أصرح عبارة : « ان كنتم قد جئتم الي لتساعدوني يكون لي معكم قلب واحد ، وان كان لكي تدفعوني لعدوى ولا ظلم لي فلينظر اله آبائنا ولينصف » (بالحرف الواحد من كتاب العهد القديم) .

وبعد سليمان انقسمت مملكته الى دويلتين صغيرتين احداهما في الشمال (مملكة اسرائيل) ، والاخرى في الجنوب (مملكة يهوذا) ، وفي هذه البقعة ، وقفت هاتان الدويلتان في منتصف الطريق بين القوتين الكبيرتين آنذاك ، آشور في العراق ، والامبراطورية الفرعونية في مصر ، وكان السباق بينهما على مناطق النفوذ ، يقودهما الى مخاصمة سياسية كبيرة وحروب عسكرية طاحنة ، فماذا كان موقف هؤلاء الساكنين في أرض كنعان ؟؟.، انهم ظلوا يقطفون ثمار هذه الحروب ، كلما رجحت كفة انحازوا اليها ، وكان موقفهم يشبه وقفة السمسار الذي يجني الفائدة من الجانبين فيعنيه ان يطول أمد الحرب لكي يستفيد دون ان يعنيه ماذا يحيق بالطرفين معا أو بالانسانية جميعا ، فكانوا يعملون على اطالة الحرب ليستفيدوا ، حتى ان كلا من الفريقين المتنازعين كان قد سئم هذا الوسيط المل الذي يدعونه للحرب لكي يجني هو ثمارها ، بينما لعبته على الحبل الآخر تحول دون عملية فاصلة يسوى فيها الحساب كله ، وعزم كل منهما على القضاء عليه ، وسبقت الى ذلك آشور فهاجمت المملكة الشمالية وضمتها واسرت ملوكها وقضت عليها نهائيا ، ثم تلتها بابل - التي حلت محل آشور في العراق - بهجوم نبوخذ نصر الكلداني على المملكة الجنوبية وتخريبه القدس وسوقه اليهود سبايا الى بابل في مشهد مأساوى فظيع مما عرف الزمن القديم .

○ الجولة .. مع أشور :

وفي غضون ذلك ، كانت للاشوريين أطماع استعمارية في أراضي الشام ، واتصل بهم بعض أبيات اسرائيل يتناصرون على بعضهم بعضا ، اذ في أيام الملك (يوثام بن عزيا) ملك يهوذا .. بدا من كل من (أرصين) ملك آرام و (فقح بن رمليا) ملك اسرائيل طمع في املاكه ، وبدا (يوثام) انهما يوشكان للوثوب عليه ، ولكن (يوثام) لم يلبث ان هلك وملك مكانه ابنه (آحاز) الذي كان على علم بتدبير هذين الجارين ، فأرسل الى ملك آشور يستنجده ، وكانت صفقة بارعة عقدها الملك الاشورى الذي استعانت طلائعه بهذه الدويلة التي تجسست له في الشام ومهدت لغزوه دمشق ، باثارة الفتنة وأعمال التخريب حتى دهم المدينة وقتل ملكها وضمها الى مستعمراته .

يقرر سفر الملوك أن (آحاز) هذا ظل مواليا للاشوريين عبدا لهم طيلة ملكه ، وقد ورد ذلك في اشارة الى ابنه (حزقيا بن آحاز) الذي « عصى على

ملك آشور ولم يتعبد له » كنص عبارة السفر ، بيد ان (حزقيا) هذا لم يغادر ملك آشور الا لينحاز الى ملك مصر الذي وعده بالنصرة وبفرسان ومركبات ذات خيل ، الا ان ملك آشور انزل به عقابا وحاصره حتى أرسل اليه يستعطفه ، وبلغ من تودده له انه خلع الذهب الذي على أبواب (بيت الرب) ليرشوه به ، فأرسل اليه الملك الاشورى من يفاوضه ويطلب منه أن يترك فرعون ويترك الرب ذاته وينحاز الى آشور الذي سيقدم له من العون ومن الدعم ما يحتاج لنفسه ولشعبه أكثر مما سيحصل عليه من فرعون ومن الرب جميعا ، وكان عرضا كبيرا قدره المفاوضون من اليهود ، حتى أنهم طلبوا من مفاوضيهم الاشوريين ان يحادثوهم بالآرامية وليس باليهودية التي يفهمها شعب المملكة ، حتى يستطيعوا تمرير المعاهدة بعيدا عن أعين شعبهم .

وهذه حلقة أخرى من المفاوضات في معاهدة تحالف استراتيجي اخرى يحاولها (حزقيا بن آحاز) نفسه مع ملك الاشوريين (سنحاريب) يشرحها سفر الايام الثاني مبينا نوع المفاوضات والهدف الذي دارت حوله ومسجلا اطرافا من محاضرها ، بيد انه يبدو ان ملوك آشور كانوا اذا استعصى عليهم أمر اغرائهم بالانحياز ، رفعوا عنهم حمايتهم وتركوهم لجيرانهم الذين استغلبوهم عليهم ليصفوا حسابهم معهم ، من قبيل ذلك انهم تركوا (رزاح الكوشى) يهاجمهم بجيش كبير ، ولو ان الكوشيين انهزموا في هذه الموقعة ، الا ان الثابت ان ارهاب الاشوريين كان يفرض عليهم بين الحين والحين لكي لا يفكروا في الخروج من دائرة الانحياز لهم ، وقد ورد غير مرة ان ملوك آشور كانوا يرسلون جنودهم ليعزلوا ملوك يهوذا ويسوقوهم اسرى ثم اذا لمسوا منهم توبة عن الخروج عليهم ، ردوهم الى عروشهم وحافظوا لهم عليها ، وهذا ـ بالضبط ـ ما حدث للملك (منسى) وشرحه بالتفصيل سفر الايام الثاني ، فان هؤلاء القوم لم يكونوا يملون السعي لدى البلاط الاشوري كلما انقلب عليهم ، ويبدون انحيازهم في صفه حتى يعود الى تمييزهم في هذه البقعة ومنحهم مناصب رئاسية ودينية فيها كلما احتاجت الى ذلك موجاته الاستعمارية .

الا ان هؤلاء القوم كانت طبيعة موقفهم في منتصف الطريق تفرض عليهم ان يتوددوا ايضا الى المصريين ويؤسسوا قنوات تصلح للاتصال بهم عند الحاجة اليهم ، وقد ورد انهم كانوا يزوجون المصريين بناتهم وما ذلك منهم الا لكي يكون لهم في مصر عرق ينفعهم اذا احتاجوا للاتصال بفرعون ، ولقد رأينا كيف حصل (حزقيا بن آحاز) من فرعون على وعد بالنصرة وبفرسان ومركبات ذات خيل ، وكيف أن آشور أرته من تأديبها ما رأى بسبب هذه المحاولة ، ولكن يبدو ان فرعون كان قد ضاق ذرعا بهم وبكثرة شواهدهم على التواطؤ المستمر مع القوى الطامعة في

غزو مصر والآتية من عند أبواب الفرات فحمل عليهم أكثر من مرة يريد ليس فقط تأديبهم ولكن عزلهم عن هذا الطريق الذي لا يؤمنون عليه ، ففي السنة الخامسة للملك (يـربعام) « صعد (شيشق) ملك مصر على أورشليم بألف ومائتي مركبة وستين الف فارس ، ولم يكن عدد الشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين واخذ المدن الحصينة التي ليهوذا واتى الى اورشليم »

○ ومع بابل :

ثم حل البابليون في العراق محل الاشوريين ، « وكما فعلت آشور من قبل بالقبائل العشر في الشمال ، فعلت بابل بالقبيلتين الباقيتين في الجنوب ،... فلقد ضم البابليون هذه المنطقة الجنوبية الى بابل عام ٥٨٥قم ، وامست فلسطين بأجمعها جزءا لا يتجزأ من الدولة البابلية ، والى ذلك كان قد مهد نبوخذ نصر الثاني عندما أطاحت اسيافه ٨٦ ق م بأهل اليهودية ودمر الهيكل ، ثم حمل الرؤساء من قبيلتي يهوذا وبنيامين الى بابل اسرى وفي مقدمتهم افراد بيت داوود من سلالة يهوذا وأعضاء مملكة يهوذا ، وملكوا عليها أحد يهودها الموالين لهم هو الملك (يهوياقيم) . وحافظوا له على عرشه طالما بقي محافظا على ولائه وظلت دولتهم عينا وعونا لمطامعهم الاستعمارية ، فلما تمرد عليهم بعد ثلاث سنين ، تركوه لجيرانه من الآراميين والمؤابيين وبني عمون ليصفوا حساباتهم معه ، وازاء هذه الانقلابة البابلية أخذ اليهود يعملون دائبين على الاتصال بملك مصر ، في الوقت الذي فيه كانت طائفة منهم تعمل عملها في البلاط البابلي ، الذي لم يلبث ان اخرج يهوياكين من سجنه وكرمه ونعمه وادخره ليوم الحاجة اليه ، وكذلك الملك حزقيا ظل موضع العناية من ملوك بابل الذين ورد في تراجمهم انهم كانوا يراسلونه وهم يستعدون لعزل آشور ، عن سلطان العراق ، وظل اليهود في هذه المنطقة يوالون بابل ويساعدونها على التوسع ويمكنونها من الضغط على الامبراطورية المصرية التي انحصر ملكها في حدوده » ولم يعد ملك مصر يخرج من أرضه لان ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر ، كل هذا حققه ملوك بابل بفضل استخدامهم اليهود عيونا لهم وطلائع لجيوشهم في المنطقة .

ولا يفوتنا ان فرعون مصر عندما عنى بتجريد حملة على أربع الفرات ، عملت يهوذا على عرقلته اذ برز اليه ملكها يوشيا وكان على ولاء لملوك بابل ، فأرسل اليه الفرعون من يفاوضه ويبلغه بأنه لا يريده هو وانما يريد بابل ، ويطلب منه ان ينحاز اليه او يفسح الطريق ، ولكنهم وقفوا في وجهه فصمم فرعون على تصفية هذه القوة التي اعترضته كما لو كانت طليعة بابل ، وليس شأننا الآن ان نناقش اطرافا من اساطير بني اسرائيل ، ولكننا نجد لزاما هنا ان

نقف عند واحد من مداخل الاسطورة في العهد القديم ، لنرى كيف ان قصاص التوراة اراد لسفره ان يكون مضحكا ، ففهم من روايته ان الفرعون اصطحب معه الها قويا وسيره امام جيشه ليساوم عليه جيوش اسرائيل اذا هم استقدموا الههم (اله الحرب ورب الجنود) الذي يسير قدامهم ويضرب الجيوش بسيفه من أجلهم ويهديهم النصر في كل مرة ، والحوار مضحك لا نريد ان نسترسل فيه ، ولكن بدا من سياقته أن (اله الجنود) لم يكن سيفه قويا في هذه المرة ، اذ انهزم جيش يهوذا وقتل الملك (يوشيا) ، وملك من بعده أخوه آحاز فلم يلبث ان عزله الفرعون الذي ضم المنطقة وساقه اسيرا الى مصر وملك مكانه أخاه (الياقيم)

○ والفرس :

كثيرون هم الذين يجمعون على أن آشور ـ بضمها المملكة الشمالية ـ وبابل ـ بضمها المملكة الجنوبية ـ قد قضتا تماما على التاريخ السياسي لليهود وغيبتاهم تمام المغيب ، وربما كان القصد ان الامبراطوريتين الاستعماريتين الكبيرتين قضتا على دولة اليهود او على دويلتيهم في الشمال والجنوب ، ولكن ، حيث انهما لم تقضيا على اليهود انفسهم ، فقد ظل حيا ذلك الدور الذي ارتبط وثيقا بكلمة (يهود) ، فانى وقعت على هذه الكلمة ، فانك ـ لاريب ـ واجد جماعة من الناس يدأبون السعي ويكثرون الجد والكد للاتصال بالقوى الكبرى والتغلغل في مصالحها والتوسط عند رؤسائها والحصول على حمايتها .

ونبدأ من حيث انتهى الكثيرون الى ان التاريخ السياسي لليهود قد انتهى بانقضاء دويلتيهم وانتقالهم الى اسوار السبى في أكناف العراق ، لنقول : في الفترة بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ، كانت جماهير غفيرة من اليهود يعيشون على ضفاف الفرات اسارى في السبى البابلي ، وهذه الجماهير اليهودية لم تضيع وقتها عبثا ، وانما عاشوا يتعرفون على طرق البلاد ومسالكها وأدواتها الدفاعية ومنشآتها الحيوية المدنية والعسكرية ، ويمدون ايديهم الخفية في البلاط البابلي ويعملون عملهم السرى عند صناع القرار السياسي والاقتصادي والعسكري ، ذلك في الوقت الذي فيه كانت فارس ـ الامبراطورية الاستعمارية المجاورة والشابة آنذاك ـ تتاهب للانقضاض على العراق لتزيل عنه ملوك بابل وتحل محلهم هناك من حيث ارادت ان تنطلق في أكبر عملية غزو استعمارية عرفها الزمن القديم ، وكان طبيعيا من اليهود ان يتصلوا بفارس ، وكان منطقيا من فارس ان تهتبل الفرصة التي اتاحتها لهم جماعة كهؤلاء هي في أشد الحاجة اليهم ، وجرت اتصالات سرية ومفاوضات بين الجانبين ، التزم اليهود بموجبها بتخريب العراق عند هجوم الفرس ، وبالفعل لم يكن قورش العظيم ليتمكن من تحطيم سيطرة

البابليين الا بمعاونة اليهود « من داخل بابل في تخريب عمليات الدفاع » .

ثم « انطلقت من العراق حركة من أكبر حركات التوسع الاستعماري في العصور القديمة ، فتحت فيها العراق وأجزاء من شبه الجزيرة العربية وكل الشام القديم (سوريا ولبنان والاردن وفلسطين) ثم هجموا على مصر واحتلوها ، وخلال هذه المهمة الحربية الطويلة كانت للفرس (في كل خطوة سلامة) بفضل خبرة اليهود بالمنطقة وانحيازهم الى الجيش الغازى وقيامهم بالتخريب أمامه في المدن والقرى المفتوحة والتجسس عليها ، حتى اذا دهمت فارس حدود مصر واحتلتها واقامت عساكرها عند أسوان ، استعانت باليهود في دخولها ثم استعمارها ، وقد شهدت الوثائق التاريخية على مدى التعاون التام بين حامية قمبيز وبين اليهود « فقد وجدت لهم بجزيرة الفيلة في أسوان مجموعة من الوثائق العسكرية الفارسية المرابطة في أقصى الجنوب من البلاد ، وهذه الجالية المتعاونة معها في شؤون التموين والخدمات والاقتصاد والجباية والترفيه عن جنود الاستعمار .

« بلفور » العهد القديم :

فاية خدمات قدمها اليهود للفرس واستحقوا عليها أن تكافأهم هذه القوة الاستعمارية الكبرى ، التي احتضنتهم بعد تمام مؤامرتها ومكنتهم من العودة الى فلسطين ، اذ منحهم ملكها (قورش العظيم) تصريحا بالعودة الى سفوح صهيون ، الى حيث يطمعون في اقامة المجد الزائل ، وسمح لهم قورش باعادة بناء الهيكل ، وملك على يهوذا ملك من بيت داوود وايده وآزره هو (زربابل بن شالتئيل) ، الذي هيأه لذلك كهان اليهود .. ومن جديد .. عاد اليهود ليحكموا اورشليم ،، ومن جديد .. « عادت تتردد في هيكلها حشرجات الضحايا المذبوحة بيد اهل الكهنوت » .

وكان هذا التصريح بالعودة يشبه (تصريح بلفور) في العصر الحديث ، وكان نص (تصريح قورش) كالآتي : « هكذا قال قورش ملك فارس ، جميع ممالك الارض دفعها لي الرب اله السماء ، وهو اوصاني ان ابني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا ، من منكم من كل شعبة ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم ، فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله الذي في أورشليم ، وكل من بقي في أحد الاماكن حيث هو متغرب في مكانه فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم ، مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم » .

هكذا مكنهم قورش العظيم من العودة وأمر حكومته بمساعدتهم وحث شعبه على التبرع لهم بالمال والمتاع ، الا ان (بلفور العهد القديم) لم يكن ليصدر هذا الامر ويكلف بلاده عناء المحافظة على دولة لليهود من باب العطف المجاني أو

الحب المجرد لبني اسرائيل ، ولكن المعقول ان الهدف من هذا التصريح هو ضمان الانحياز الكامل اليه وهو في حروبه الاستعمارية في المنطقة ، ثم استخدامهم - بعد استتباب الامر له - « ليكونوا عيونا له فيها ويستعين بدهائهم على حكم أصحاب البلاد من الكنعانيين » ، وليكونوا طليعة لقواته وفصيلة متقدمة لها في المنطقة وقوة خفية متغلغلة في شؤونها وذراعا قوية له بين دولها ، يؤدب به من خرج عن طاعته منها ، وقد كلفته مصالحه الاستعمارية أن يدخل هؤلاء الناس في البلاد عنوة على أهلها الذين ظهرت عليهم موجات من الاستياء قاموا على أثرها « يقيمون العراقيل في سبيل تجديد معبدهم »

الا أن يهود السبى عمدوا الى استغلال (تصريح قورش) أفضل استغلال ، فلم يعودوا جميعا من هناك ، ولكن جماعة منهم فضلت البقاء في العراق ليكونوا على مقربة من حكومة الدولة ، يعملون عملهم في بلاط فارس ويدخرون وجودهم ليوم تصير فيه فارس الى ضعف من بعد قوة ، ويحتاجون الى الاتصال بقوة استعمارية جديدة ، فبينما لم تمض سنتان على (تولى قورش العظيم) حتى عادت الفصيلة الاولى من يهود السبي عودتها وتتابعت من بعدها الموجات لتعيد بناء الهيكل وتجعل من تولى (قورش) نقطة تحول خطيرة في تاريخ اليهود ، وعادت جماعة أخرى في عهد الملك (ارتحشستا) بجهود سياسية بذلها كل من عذرا ونحميا صاحبي السفرين المنسوبين لهما ، فقد ظلت جماعة منهم هناك كما قلنا ، لتتغلغل في قصور الفرس وتدس كلمتها في قرارات الاكاسرة العظام ، وكانت أكبر التغلغل للنفوذ اليهودي تلك التي أفاض في شرحها سفر (الملكة أستير) ، تلك الفتاة اليهودية البارعة التي استطاع عمها (اليهودي المحنك موردخاى) أن يدسها بين محظيات الملك ، واستطاعت هي بنعومتها وجمالها ان تستحوذ على قلب الملك ، حتى تزوجها وخضع لسطوتها وجعل من نفسه ومن حكومته أدوات في أيديها والايدي الخفية التي تخفت وراءها ، فأصبح يعزل وزراءه كلما أراد اليهود ، ويقتلهم كلما أرادوا الانتقام منهم ، وأمر بتحرير اليهود ورفع مكانتهم فوق الوزراء والولاة في شئون دولته ومستعمراتها .

والجولة .. مع الاسكندر :

ولم تكد شمس القرن الرابع قبل الميلاد تشرق على الدنيا حتى بدأت شمس بابل تؤذن بالمغيب ، ولكن اليهود الذين رفعتهم في أصقاعها هذه الامبراطورية الاستعمارية الكبرى غفلا عن عوامل الضعف وأسباب الوهن وهي تنتشر ببطء وتستشري على مهل في أوصال الدولة الزائلة ، التي أكلوا خيرها وباعوا كهولتها ، وكيف لا يدركون ذلك وهم المخربون في كل موقع ، الممثلون في كل طابور

خفي .. أصحاب الايدي الخفية المتلصصة والآذان المسترقة في كل مكان ، المترقبون دائما متى تزول القوة التي يعتمدون عليها لينقلوا جهدهم ويولوا وجوههم شطر قوة أخرى ،؟؟

ولم تمض ثلاثة عقود من هذا القرن ، حتى كانت اليونان قد جهزت الاسكندر المقدونى بجيش قوى لاجتياح الشرق وازاحة النفوذ الفارسي عن الاصقاع التي دانت له ، وبينما كانت نجوم فارس تأخذ طريقها الى الأفول نجما نجما ، كان اليهود الذين عاشوا في أكنافهم حقبة طويلة من الزمن يراقبون الغزو اليوناني الآتي من الغرب ، ويتفننون في الوسيلة ويحاولون الحيلة للاتصال به .

ولما بدأ يتطلع الى الشام ليجتازه الى العراق الذي كان في خطته أن يتخذ منه قاعدة ينطلق منها لينقض على الفرس في عقر دارهم ، جاء دور يهود الشام ، فما أن بدأت طلائع الاسكندر تزاحم حدود الشام من جهة أرض كنعان ، حتى بدأ اليهود الاتصال به وعرض خدماتهم في التجسس له والاستطلاع أمامه والتخريب أمام قواته والتمهيد لها ، فضلا عن ترسيخ أقدامه في المستعمرات الجديدة ، وكان عرضا كبيرا يحتاج الى مثله الدكتاتور المقدونى الكبير الذي نجح في عقد الحلف مع هذا الطابور السري الخطير وضمه الى صفوفه ، وقد كافأهم بعد الفتح بأن أسند اليهم مناصب رئاسية ودينية في البلاد ، وبسط عليهم حمايته ، ولكن الفاتح الكبير الذي كان ولا شك قد درس أحوال الأمم في البلاد التي خطط لغزوها دفعته فكرته عنهم وحنكة مخابراته بهم الى أن يتعامل معهم بحذر ، فعندما ذهب يكافأهم بعد الفتح « أباح ليهود الشام أن تكون لهم شخصية قوية متميزة ، وأن يحكم أفراد منهم يتولون السلطة الروحية والمحافظة على الأمن ، واقامة القضاء حسب الشريعة الموسوية في محاكم خاصة بهم ..

ولكنه .. منعهم من الاشراف على السياسة الخارجية أو الاقتصاد أو الشئون العسكرية ، وسلم ذلك بحكام يونانيين . أما يهود الاسكندرية فكافأهم بأن سمح لهم بإحياء دراساتهم الشرعية والاقامة في حي خاص بهم وإقامة شعائرهم الدينية .

○ ومع الرومان :

وعندما خضعت المنطقة لسيادة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد ، كان اليهود قد أعدوا عدتهم لمغازلة القوى الرومانية الآتية من الشمال ، ولكن بدا بعد نجاح الغزو ان حيلهم وماضيهم في الجاسوسية وقدرتهم على احتواء القوى الغازية ، لم تكن على قدر الطموح الروماني نحو الاستعمار ، لذلك انقلب الرومان عليهم وجردوهم من مراكزهم المتميزة فوق بقية أهل البلاد ، فعمد اليهود الى التمرد والتخريب واثارة الفتن والقلاقل ، وقاموا بحركة تمرد على

الرومان سنة ٦٦ م ، ولم تمض سنة ٧٠ م حتى كان الرومان قد قمعوها تماما ، الا أن اليهود استطاعوا ان يحققوا مكاسب من وراء هذه الخطة ، اذ أقام الامبراطور (تيتوس) على المنطقة مملكة « أقام على رأسها أسرة الهيرود.يين من اليهود ، فحكمت قسما من فلسطين لحساب روما »

واذ علم ان اليهود في هذه الفترة كانوا قد انقسموا الى عدة فرق (من فريسيين وصدوقيين وأبناء داوود وغيرهم ..) ، فانه لم تلبث أن توالت الارهاصات بظهور المسيح ، حتى أخذت كل فرقة تنتظر أن يكون منها ، فلما ظهر النبي يحيى (يسمونه يوحنا المعمدان) وقام يدعو الى الله ، تآمروا عليه وفضلوا وثنية الرومان على تعاليمه السماوية ، فدفعوا نساءهم يوغرن عليه صدور الرومان حتى قتلوه اكراما ليهودية حسناء فتن بها الملك ، ثم توالت الارهاصات واخذ هديرها يشتد ، وعادت - من جديد - كل فرقة تستعد لان يكون منها ، حيث كانت فرقهم جميعا تنتظر كل منها أن يخرج من بينها مسيح عنصري صهيوني يتولى اخضاع العالم تحت أقدام اسرائيل ، فلما ظهر المسيح الحق ، لم يجدوا فيه أحلامهم ، وانما وجدوا رسولا من الله ينقض التعاليم الفاسدة التي حوتها كتبهم المحرفة والتي لم تتبدل منذ حرفها أحبار الفساد في أسر بابل ، فتآمروا عليه جميعا واتحدوا في مؤامرة ضمتهم الى البيت الهيرودي الذي رآه خطرا على عرشه ، وتآمرت عليه وعلى دعوته جحافل السلطة الدينية والزمنية معا ، وذلك - ببساطة - لأنه لم يكن عنصريا ولا صهيونيا ، وانما دعا الى عالمية الدين والى الله الحق .

○ ثم انتهى شهر العسل :

الا ان (شهر العسل) بين اليهود وبين الرومان لم يدم طويلا بعد غياب المسيح ، اذ عاود الرومان الضغط عليهم وقمعهم فعاودوا التخريب والتمرد ، الى ان كانت آخر حركة تمرد صهيونية في الزمن القديم بقيادة (بركوكبا) في القرن الثاني الميلادي ، تلك الحركة التي حمل الرومان من بعدها على اليهود حملة لم يعرف لها مثيل ، وطفقوا - فيما يشبه محو اللون اليهودي من على الارض - يوسعونهم قتلا وتشتيتا حتى لم تقم لهم من بعدها قومة الى العصر الحديث .

○ خاتمة

وكثيرون هم الذين يجمعون على أن ما بين حركة (بركوكبا) وبين عصر الصهيونية الحاضرة .. خمد اليهود تماما .. ولم تقم لهم قائمة .. ولم يكن لهم دور .. حتى العصر الحاضر ، منذ بدأ وايزمان يجمعهم في أوائل القرن العشرين في موجة صهيونية كبرى ترمي الى اغتصاب فلسطين ،... ولكن .. وقبل ان نختم حديثنا عن (شواهد الحلف في العهد القديم) ،..نرى لا بد وأن نتطرق الى

الفترة ما بين العصور القديمة وبين عصور الاستعمار الحديثة ، فانه طالما كان في الارض موجات استعمارية ... وطالما أن اليهود احياء يرزقون .. فاننا - حتما - سنجد لهم دورا مع قوى الطغيان ..واننا - حتما - سنجد لهم في الاستعمار حياة .. وعلى أي فاننا سنقصر حديث ختامنا عن دورهم في الحروب الصليبية ، ودورهم مع نابوليون بونابارت ، وسنجمل فيما يلي :

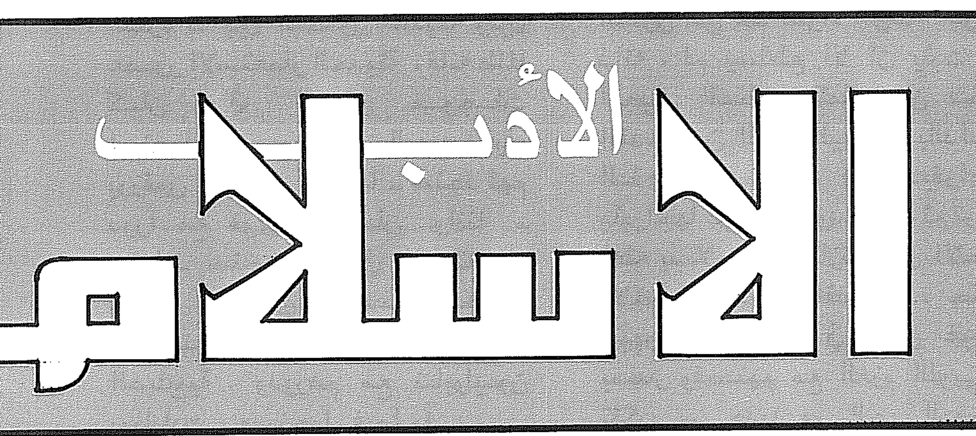
○ في الحرب الصليبية :

فمع تقدم الجيوش الصليبية في أرض فلسطين ، حاول بعض كتابهم أن يوجد لهم دورا ايجابيا في التعرض لفظائع الصليبيين التي تعرض لها أصحاب البلاد ، فلم يدخر وسيلة يفصح بها عن تعرض اليهود في أوروبا للاضطهاد على يد الصليبيين ، واسهب يشرح ما تعرضوا له في أوروبا الى ان أدرك ان حديثه عن فظائع أوروبا نحو يهود الغرب لا يعني بالضرورة أن فظائع الجيوش الصليبية التي أتت الى فلسطين قد أصابت - فيما أصابت - يهود الشرق ، فاكتفى بأن هؤلاء اليهود الشرقيين كان لهم دور سلبي للغاية ،... والى هنا يلزمنا الأمر ان نستوقف هذا المؤلف أمام نصوص كتابه ذاتها ، التي لم تستطع ان تبرر ما ذكرته من أن يهود الخليل سلموا تماما من فظائع الغزو الصليبي ، ولم يصبهم أذى الحملة هم ومسيحيو الشرق على حد سواء ، وهذا المؤلف ذاته ، لم يستطع الا أن يثبت ان الجيش الصليبي تمكن من دخول القدس من الحي اليهودي بالذات ، الذي ألقت قوات (جوديفراي) بأبراجها على سوره ودخلته ، ثم تركت أهله بسلام ثم اجتازتهم الى الاحياء الاخرى للمدينة المقدسة ... حكاية اليهود الساكنين في أرض غوشن بمصر وقصتهم مع الغزو اللوبي .. تتكرر من جديد من الحي اليهودي بالقدس وقصته مع الغزو الصليبي .

○ في الحملة الفرنسية :

وبذات الاجمال نقول ان نابليون بونابارت عندما استجمع قواه للحملة على الشرق ، كان ادرى بصلة اليهود في المنطقة واهميتهم كفصيلة متقدمة لكل جيش غازي ، اطلق نداء قويا الى يهود الشرق يدعوهم للانضمام الى حملته ويغريهم بمنافع لهم في المنطقة ،.. ولكن نابليون الذي نشر ذلك في جريدته الرسمية ، لم يتمكن - على النحو المعروف - من مواصلة حملته وفك حصار عكا وعاد الى بلاده دون ان يحقق لهم شيئا .

وكان ذلك في خواتيم القرن التاسع عشر ، وطوال القرن التاسع عشر ظل الصهاينة يطرقون أبواب الاستعمار انى وجدوه .. يتغلغلون في صفوفه ، ويكتسبون يدا في قراراته .. حتى احتضنهم وأيدتهم قواه الغاشمة ، على النحو الذي نعرفه جميعا عن عصور الصهيونية الحاضرة .



اولا : تبنى الأدب الاسلامي والعناية به :

١ ـ دعوة الوزارات المختصة والجامعات الى تبني هذا الأدب ، والعناية به وتدريسه في المراحل الثانوية والجامعية ليعبر عن الاسلام وتعاليمه وينشر دعوته في الأرض وذلك عن طريق الكلمة الطيبة المؤثرة .

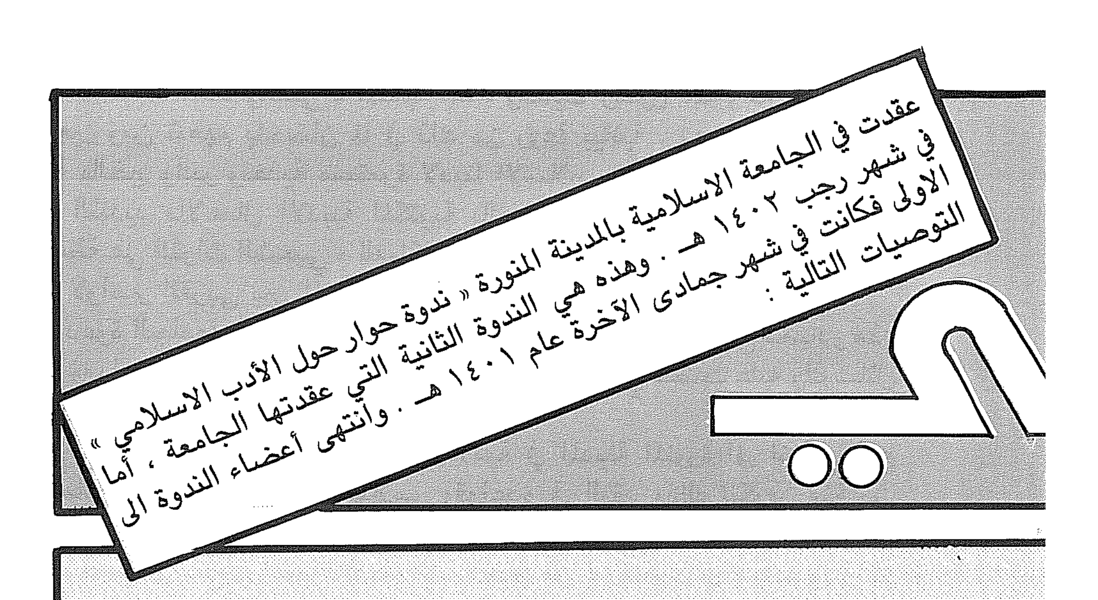
٢ ـ ادخال مادة الأدب الاسلامي بصفة عامة وادب الدعوة بصفة خاصة في اقسام الدعوة والاعلام وفي السنوات التمهيدية من الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية التي تبرز هذا الأدب وتقعد له وتخرج الباحثين المختصين فيه .

٣ ـ دعوة الباحثين من علماء المسلمين عامة وأدبائهم ونقادهم خاصة الى اعداد البحوث في هذا الأدب ، ووضع قواعده في النقد . وحض الجامعات على تبني ما يكتب في هذا المجال وطباعته ونشره وبذل المكافآت السخية لكتابه .

٤ ـ دعوة الجامعات في الأقطار الاسلامية لانشاء فروع في مكتباتها للاثار الأدبية الاسلامية القديمة والحديثة المكتوبة باللغة العربية ولغات الشعوب الاسلامية وما كتبه المستشرقون في هذا الموضوع لتكون مراجع لدارسي هذا الأدب .

٥ ـ العمل على ترجمة هذه الآثار من العربية واليها وذلك للافادة من الطاقات الأدبية في العالم الاسلامي ، وتفاعل هذه الطاقات ورفد بعضها لبعض والسعي لطباعتها ونشرها بالوسائل المختلفة .

٦ ـ حض الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية والنوادي الادبية على تشجيع ذوي الطاقات الادبية المبدعة ، واعداد المسابقات لكتابة القصص والمسرحيات والمسلسلات النابعة من الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته ومنح الجوائز السخية لاصحاب الآثار الفائزة ، والعمل على نشرها والكتابة عنها ، وعن أصحابها في الصحف والمجلات .



٧ ـ وضع منهج متكامل للأدب الاسلامي تتفق الجامعات المتناظرة في العالم العربي على تبنيه وتدريسه في المرحلتين العالية والعليا .
٨ ـ انشاء مجلة متخصصة بالادب الاسلامي عامة وأدب الاطفال واليافعين والشباب خاصة .
٩ ـ ان تعمل المعاهد والكليات التي تدرس المذاهب الأدبية من كلاسيكية ورومنسية وواقعية وغيرها على عرض هذه المذاهب وبيان انها كانت نتيجة لفلسفات واتجاهات اجنبية ثم الاهتمام البالغ بتفنيد وجوه مخالفة هذه المذاهب للاسلام ، وتناقضها الشديد مع قيمه وتعاليمه وان يعهد بتدريس هذه المادة الى ناقد اسلامي بصير .
١٠ ـ ان تكون الموضوعات والنصوص الادبية التي تدرس في المعاهد والكليات خالية من كل ما يخالف الاسلام ، وان تختار من الآثار الأدبية المفعمة بالحض على المثل التي تنبع من الفطر السليمة ، وتتفق مع دين الله .
١١ ـ ان تهتم الجامعات اهتماما كبيرا بالأدب الاسلامي للاطفال وذلك بتدريس هذا الادب في المرحلتين العالية والعليا واعداد البحوث المتعمقة فيه لنيل درجتي الماجستير والدكتوراة .
١٢ ـ ان تشتمل كتب الأدب والمحفوظات في المراحل الدراسية كلها على نصوص مختارة مؤثرة للشعراء المبدعين من القدماء والمحدثين الذين صوروا نكبة المسلمين في اولي القبلتين وثالث الحرمين ، وبكوا ما حل بفلسطين على ايدي الصليبيين واليهود ودعوا الى تحريرها ، كما تشتمل على نصوص تصور فرحة المسلمين باستعادة الديار المقدسة على يدي صلاح الدين .
١٣ ـ ان يكون الادب الاسلامي الذي نقدمه للطلاب في مراحل الدراسة جميعها

وثيقة الصلة ـ مادة ومعنى ـ بكتاب الله ، وحديث رسول الله واثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان لما في ذلك من روعة بيانية . وعمق ايماني وروح نابضة بالخير والبر وتغذية مستمرة لادبنا الاسلامي المعاصر .

١٤ ـ التنديد بالاعمال الادبية المكتوبة باللهجات العامية ومناهضة الدعوات للمحافظة على التراث الشعبي « الفولكلور » وبيان ما فيها من خطر على لغة القرآن وقطع لاواصر القربى بين المسلمين عامة والعرب منهم خاصة .

١٥ ـ دعوة الجامعات الى اقامة مراكز للأدب الاسلامي تعني بجمع مصادر هذا الأدب ومراجعة الموضوعات التي كتبت فيه والمقالات التي حضت عليه والرسائل الجامعية التي اعدت فيه .

١٦ ـ دعوة القائمين على الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة الى انشاء فرع الدراسات العليا في الادب الاسلامي وقواعده في النقد وذلك لتكوين فئة من المختصين بهذا الادب الداعين اليه عن دراية وتعمق وخبرة .

١٧ ـ تخصيص منح دراسية للادباء الاسلاميين من غير العرب في المعاهد والمراكز التي انشأتها الدول العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وذلك لتوسيع رقعة الأدب الاسلامي وتبادل الخبرات الأدبية عن طريق الترجمة من العربية واليها .

١٨ ـ اهتمام العاملين في مجالات الأدب الاسلامي بتأصيل علم الجمال وتوجيهه وجهة اسلامية والافادة منه في الأعمال الأدبية الاسلامية ليتآزر الشكل مع المضمون .

١٩ ـ يتوجه اعضاء الندوة بجزيل الشكر الى الجامعات التي أنشأت معاهد ومراكز لتعليم لغة القرآن للمسلمين من غير العرب ، ويأملون منها ان تضاعف جهودها في هذا المجال الخير ، وان توجه التعليم في هذه المعاهد والمراكز وجهة تعتمد على قراءة القرآن الكريم والتحلي بالحديث الشريف ، ومعرفة اداء الشعائر على أكمل وجه .

كما يأملون من هذه الجامعات ان تعمل على افتتاح المدارس في تلك البلاد الاسلامية لتعليم الاطفال والناشئين لغة القرآن ودين الاسلام وتثقفهم بالثقافة التي تربطهم باخوانهم العرب وان تؤلف لهم الكتب الاسلامية التي تلائم مستوياتهم .

ثانيا : رسم بعض الخطوط العريضة للأدب الاسلامي الذي ننشده :

تقترح الندوة لتأصيل هذا الأدب واغنائه ما يلي :

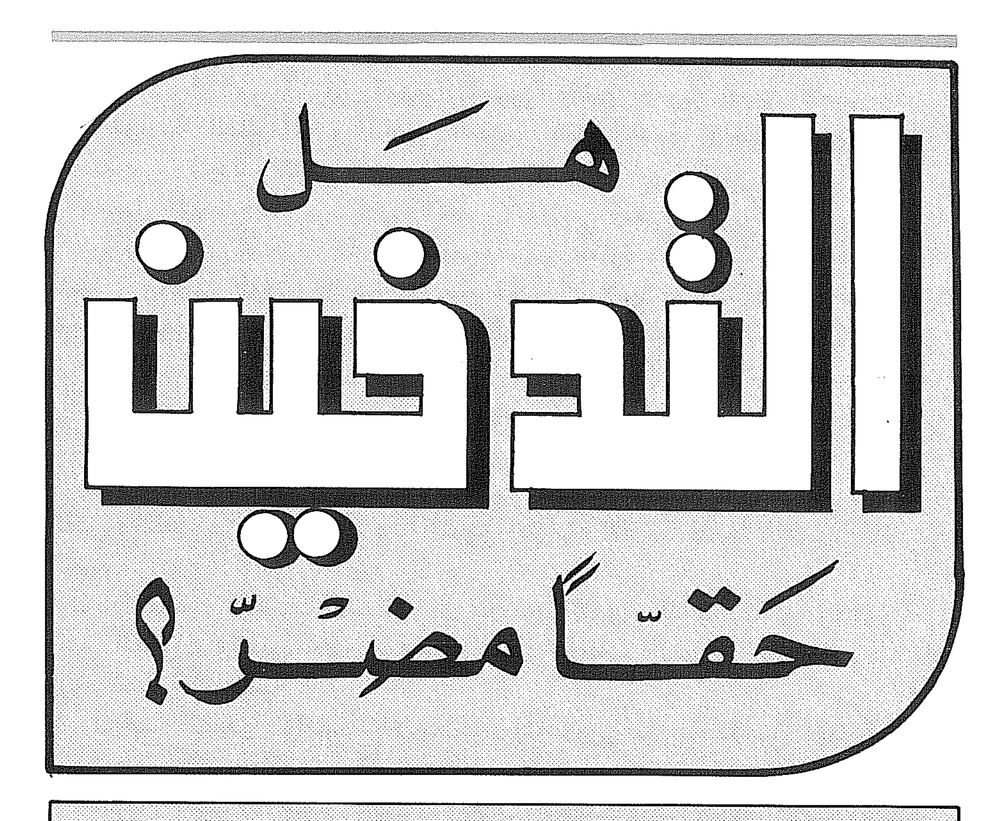
١ ـ تعميق النظرة في مفهوم هذا الادب القائم على التصور الاسلامي الصحيح ،

والربط المحكم المتوازن بين قيمه الشعورية والمعنوية وبين قيمه التعبيرية .
٢ ـ دراسة النظريات والمذاهب النقدية عند القدماء والمحدثين من نقادنا الاسلاميين ، وذلك لاستخلاص السمات التي يجب ان تتوفر في الأدب الاسلامي والوصول الى مذهب أصيل في الأدب الاسلامي ونقده .
٣ ـ العناية بدراسة طائفة من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وخطب الراشدين دراسة متعمقة وذلك لاستجلاء مكامن الروعة الفنية فيها ، وجعلها موجها ومقوما لانتاج الأدباء الاسلاميين .
٤ ـ الاهتمام بوضع القواعد والضوابط للفنون الأدبية الحديثة من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقال وخاطرة وترجمة وغيرها لتكون هادية للأدباء في انتاج أدب اسلامي سليم .
٥ ـ دراسة منهج القرآن الكريم والحديث الشريف في القصة والحوار والتصوير الفني والتملي من خصائص هذا المنهج ومزاياه للافادة منهما في النتاج الادبي الاسلامي .
٦ ـ دراسة فنون الادب الاسلامي في عهودها الاولى وذلك كأدب الدعوة الى الله ، وأدب الغزوات والفتوحات ورصد تطورها في الخطابة وأدب المواعظ وشعر الجهاد والحماسة الاسلامية .
٧ ـ دراسة الشعراء والادباء الاسلاميين المغمورين من القدماء والمحدثين لتغذية الأدب الاسلامي وتقويته وتنويعه .
٨ ـ العمل الجاد على جمع الادب الاسلامي الحديث ونقده وذلك لتقويمه وتوجيهه ولفت الانظار اليه .

ثالثا : توصيات عامة :

١ ـ طباعة البحوث التي اعدت لهذه الندوة وتعميم توصياتها وارسالها الى سائر الجامعات في البلاد الاسلامية عامة ، والعربية منها خاصة مع الدعوة الى تبني الأدب الاسلامي الذي تبنته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وجامعة دار العلوم الاسلامية في الهند ، والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وغيرها من الجامعات .
٢ ـ ان تعقد هذه الندوة المباركة في بلد من البلدان الاسلامية مرة كل عامين .

هذا وان اعضاء الندوة ليهيبون بجميع المسؤولين في وزارات المعارف والتربية والثقافة والاعلام وبالمجامع العلمية والنوادي الأدبية والمؤسسات الاسلامية ذات العلاقة ، ان يبذلوا كل ما في وسعهم لتأييد هذه التوصيات ، وتهيئة جميع السبل الممكنة لتنفيذها والله من وراء القصد ومنه يستلهم العون والسداد .



للدكتور / هشام ابراهيم الخطيب

مقدمة تاريخية :

موطن التبغ الأول هو القارة الأمريكية ، وحتى يومنا هذا لم يعرف بالضبط تاريخ ابتداء تلك القارة باستعمال التبغ للتدخين ، وقد وجدت في بعض الحفريات في امريكا ، يعود تاريخها الى حوالي ٦٠٠ ق. م بينها غليون من الفخار لتدخين التبغ .

عندما وصل كريستوف كولمبس مع رجاله الاسبان لأول مرة الى امريكا الوسطى مكتشفا القارة الجديدة عام ١٤٩٢م ، وهناك عرف التدخين .

وفي سنة ١٥١٩م جاء الرحالة اوفيدو لأول مرة باوراق التبغ الى اوروبا ، اما بذور التبغ فلم تصل القارة الاوروبية الا في سنة ١٥٥٩م ، وكان من البرازيل ، وفي نفس السنة استنبت جان نيكوت سفير فرنسا في البرتغال بذور التبغ في حديقة منزله وذلك بقصد الزينة لجمال اوراق نبتة التبغ الخضراء وازهارها الجميلة واخذت زراعة التبغ بعد ذلك تنتشر بسرعة هائلة في جميع انحاء اوروبا .

التبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية ذو ساق اسطوانية الشكل ، واوراقه بيضاوية لزجة كبيرة الحجم ، وزهوره جميلة ذات لون احمر وردي ، يرتفع النبات عن الارض حوالي المترين واسم هذا النبات هو سولاناسين .

مكونات التبغ :

يتركب التبغ من مواد عديدة تزيد عن ٣٠٠ مادة معروفة حتى الان ، وتختلف هذه المواد باختلاف نوع التبغ وطريقة التدخين ، واليك اهم هذه المكونات : ـ

١) النيكوتين :

في سنة ١٨٢٨م اكتشف العالمان الالمانيان بوسلت ورايمان من جامعة هايدلبرج الالمانية المادة الفعالة في التبغ وسمياها نيكوتين نسبة لجان نيكوت اول من استنبت بذور التبغ في اوروبا . والنيكوتين مادة شبه قلوية ، عديمة الرائحة واللون في حالتها النقية ، قوامها زيتي لكنه يصبح مائلا للصفرة بمجرد ملامسته الهواء ، وهو مركب سام جدا وخطر على جميع المخلوقات . يستخرج النيكوتين من مادة Nicotiana tobacum

تختلف كمية النيكوتين وفقا لنوع الدخان ، وطريقة استعماله ، ويكون امتصاصه حتى ٩٠٪ في الاشخاص الذين يستنشقونه والى ١٠٪ في عدم الاستنشاق . يمتص النيكوتين في السجائر من الرئة ، بينما نيكوتين السيجار والغليون عن طريق الفم والبلعوم ، ولذلك يلاحظ بان مدخني السجائر يستنشقون الدخان اكثر من مدخني السيجار والغليون ليحصلوا على النيكوتين .

كل سيجارة من السجائر تحتوي ٢٠ ملغم من النيكوتين ، اذا احتوت على غرام واحد من التبغ ، وزن السيجار حوالي خمسة غرامات . الجرعة المميتة للنيكوتين هي ٥٠ ملغم .

٢) البريدين :

وهو اقل سمية من النيكوتين ، واقل كمية اذ لا يتولد عند حرق غرام واحد من التبغ اكثر من ملغم من البريدين .

٣) الامونياك (مركبات الأمونيا) :

يتولد عند حرق غرام واحد من التبغ ٣ ـ ٥ ملغم من الامونياك ، وضرره الصحي انه يؤدي الى التهاب الغشاء المخاطي للعين والفم والحنجرة والقصبة الهوائية ، وهو السبب في حدوث السعال والبصاق عند المدخنين .

٤) المواد القطرانية :

وهي الزفت ، ويتولد حوالي ٤٠ ملغم من كل كغم من التبغ المحروق ، وقد ثبت علميا ان لهذه المادة مفعولا

كبيرا في تكوين السرطان وخصوصا لما تحتويه مادة البنزيبيرين ذات المفعول الأكيد في احداث السرطان .

٥) أول أوكسيد الكربون :

ان غاز اول اوكسيد الكربون يتولد في دخان التبغ بنسبة تتراوح بين ١ - ١٤٪ ، وهذا الغاز سام اذ يتحد مع الهيموجلوبين ((خضاب الدم)) ويقوم بوقف قابلية الدم لحمل الاوكسجين ، ولهذا السبب فان المدمنين على التدخين عادة ما يكون نفسهم قصيرا .

٦) وهناك مواد اخرى مثل غاز الميثان ، الكحول الايثيلي ، اجسام فينولية ، الزرنيخ يأتي من المبيدات الحشرية التي يرش بها التبغ ، السيانيد ، رماد ورق السيجارة وغيرها .

اشكال التدخين :

١) السجائر العادية وهي الأكثر شيوعا واستعمالا والأكثر خطرا على الانسان .
٢) السيجار يتألف من طبقات ثلاث الداخلية منها تتألف من تبغ الحشو العادي ، خطرها الأكبر على الفم والبلعوم .
٣) الغليون او البايب سبب استعماله هو تصفية وترشيح التبغ من النيكوتين والمواد القطرانية .
٤) الاركيلة او الشيشة
٥) استعمال التبغ بوضعه تحت اللسان (السويكة) ، وتسبب التهاب اللثة ، ناهيك عن رائحة الفم الكريهة .

مضار التدخين :

١) الجهاز التنفسي :

يؤثر التدخين على الجهاز التنفسي بالتأثيرات التالية : -

أ) السعال المزمن والبصاق ، نتيجة تخريش الاغشية المخاطية للقصبات الهوائية بمادة الامونياك .
ب) التهاب القصبات المزمن ، التدخين لفترة طويلة او بكميات كبيرة ينقص حركة الاهداب في القصبات ، وكذلك يثبط او يبطل عمل خلايا الدم البيض Marco Phages وهذا يؤدي الى تضخم الغدد المفرزة للمخاط وفرط تنسجها ويؤدي الى انسداد السبل الصغيرة التنفسية ، ويؤدي الى التهابها ، وأعراض المرض هو السعال المزمن مع البصاق لمدة طويلة من الزمن ، والالتهابات الحادة للمجاري التنفسية وضيق النفس ، وفي النهاية هبوط القلب وعجزه عن العمل .
جـ) انتفاخ الرئة غالبا ما يصاحب التهاب القصبات المزمن ،
وكيفية حدوث الانتفاخ هي التدخين ← نقص دفاع في الجسم ← نشاط فعالية الخمائر الحالة ← انتفاخ الرئة .
د) سرطان الرئة ، وملخص الأقوال في هذا الموضوع هي :
● يندر حدوث سرطان الرئة في غير المدخنين .

● انتشار التدخين بين المصابين بسرطان الرئة انتشارا يزيد عنه بين المرضى الاخرين في السن نفسها والمستوى الاقتصادي نفسه .

● عند بحث العلاقة بين سرطان الرئة والتدخين ، تظهر حقيقة واحدة على الأقل لا تقبل الجدل ، وهي كلما خفض الشخص التدخين قلت أمكانية اصابته بالسرطان الرئوي ، يصبح العكس اي انه كلما اكثر الشخص من التدخين ازداد تعرضه للاصابة بسرطان الرئة .

ـ ان معظم المصابين بسرطان الرئة هم بين مدخني السجائر اكثر من مدخني السيجار والغليون .

الجهاز الهضمي :

١) التقرحات ، وتصيب اللسان (المنطقة الامامية والجانبية) ، وارضية الفم ، وممكن ان تؤدي الى تضخمات وابيضاض الغشاء المخاطي Leukoplakia ، وهذه سابقة للسرطان .

٢) التهاب اللثة واللسان وممكن ان يكون اللسان مشعرا (حليماته طويلة) .

٣) تلون الاسنان باللون الاصفر .

٤) التهاب الغدد اللعابية ، وتؤدي الى ضخامتها وبعد ذلك الى تليف هذه الغدد وحدوث التلف .

٥) التدخين هو من العوامل المساعدة والتي تسبب قرحة المعدة والاثني عشر ، وكذلك فان التدخين يؤدي الى اضطراب الحركة البوابية .

٦) سرطان الفم ، اكثر حدوثا بين مدخني الغليون والسيجار والسبب في ذلك يعود الى ان النيكوتين المجرد في السيجار هو قلوي التفاعل وبهذا فهو غير متأين ويذوب بالدهن ولهذا فانه يمتص بسهولة من الفم ، بينما تدخين السجائر وهي حمضية التفاعل ويكون النيكوتين اكثر تأينا وبهذا فان امتصاص النيكوتين من الفم قليلا ، ولهذا السبب ايضا يجعلنا نفسر لماذا مدخنو السيجار يستنشقون الدخان اقل من مدخني السجائر وان نسبة اصابتهم بسرطان الرئة اقل من مدخني السجائر .

القلب والأوعية الدموية :

١) مرض بيرجر ، يؤدي هذا المرض الى التهاب سطحي او عميق ، او تخثر للأوردة ، يصيب الشرايين الصغيرة والمتوسطة الحجم ، ومن اعراضه حدوث ظاهرة خاصة عند تعرض الجسم للبرد ويصبح لون الجلد ازرق فابيض فأحمر ، ويمكن اخيرا ان يؤدي الى حدوث وظهور التقرحات والغرغرينات .

٢) ارتفاع الضغط الدموي .

٣) التعرض للاصابة باحتشاء العضلة القلبية (الجلطة) والذبحة الصدرية .

٤) تسرع وعدم انتظام دقات القلب .

المرأة الحامل والتدخين :

يؤثر التدخين بالمرأة الحامل ما يلي :

١) يولد الطفل اقل من وزنه الطبيعي بحوالي ١٧٠ غرام ، وعزاه بعض الاطباء لمادتي اول اوكسيد الكربون والنيكوتين .
٢) قد يولد الطفل غير مكتمل النمو ولديه نقص في الاعضاء .
٣) قد تتعرض المرأة الحامل الى الاجهاض .
٤) قد يؤدي الى موت الجنين في رحم الأم .
٥) معدل موت الجنين بعد الولادة بشهر تزيد ٢٨٪ على جنين غير المدخنات .
٦) تغيرات في المشيمة وحدوث الترسبات والتكلسات تحت الغشاء المشيمي ، وكذلك وزن المشيمة في المرأة المدخنة اقل منها في غير المدخنة .

١) التهاب الملتحمة ، نتيجة تخريش اغشية العين بالمواد التي يحتويها التبغ .
٢) التهاب العصب البصري تكون مرافقة لنقص فيتامين ب ١٢ واكثر حدوثا في تدخين البايب ، وسبب ذلك هو ان مادة السيانيد في التبغ تتلف فيتامين ب ١٢ ، وتحدث له De-mylimation مرضا هذا المرض يسمى باللغة الطبية Tobacco Amblyopia .

الجهاز البولي :

١) نقصان التدرر بسبب افراز هرمون مهبط لتدرر البول ADH من الغدة النخامية .
٢) سرطان المثانة هو اكثر حدوثا بمرتين في المدخنين اذا قورنوا بغير المدخنين .

الجهاز العصبي :

١) يؤثر على عمل العقد العصبية فيحدث لها تهيجا خفيفا ثم يبطل عملها .
٢) يحث على افراز الموصلات العصبية مثل اسيتتل كولين ، ونور ادرلنالين .
٣) يؤثر على الغدة النخامية بافراز هرمون ADH ، وبالتالي يؤثر على البول فيقلل من كميته .
٤) تنبيهه للجهاز العصبي في مراكز الجهاز التنفسي ومراكز القيء وغيرهما .

تلوث البيئة :

التدخين احد مصادر تلوث البيئة ، وخاصة اذا كانت البيئة في الاماكن المغلقة الناتجة من دخان سجائر المدخنين ، وربما يحتج قائل ان من الحق الطبيعي ان يدخن سيجارته وقتما يشاء في اي مكان يشاء ، ولكنني اقول اليس من حق غير المدخن ان يستنشق الهواء النقي لكي يملأ رئتيه ، ولا نتصور انه يرضى انه يرغب ان يملأ رئتيه بفضلات زفير جاره المدخن ، وهذا مطلب عادل بحق غير المدخن من الحياة النظيفة وتلك ضرورة مؤكدة .

ان نسبة غاز اول اوكسيد الكربون في التبغ (دخان التبغ) بين ١ ـ ١٤٪ ، بينما نسبة الغاز في دخان القاطرة حوالي ٣,٦٪ ، وفي الشوارع المكتظة لا تزيد بأكثر من ٠,٠١٪ ، وخطورة الغاز تزيد خاصة اذا كان المدخنون في غرفة او اماكن مغلقة ، وبالتالي يؤدي الى التسمم بأول اوكسيد الكربون .

وهذا الغاز يتحد مع هيموجلوبين الدم (خضاب الدم) بدلا من الاوكسجين ، وينتج عنه امراض التسمم ، وهناك نوعان من التسمم بهذا الغاز ، التسمم الحاد ومن اعراضه تورد لون الجلد وخاصة الوجنتين ، صداع في الرأس ، دوار وربما فقدان الوعي الخ ، اما التسمم المزمن فغالبا ما يكون مع الاشخاص المدمنين على التدخين ومن هذه الاعراض اضطرابات هضمية ، اضطرابات تنفسية (انقباض بالصدر) ، ارتخاء عام في الجسم ، نوبات من الصداع ، ارق في الليل عند النوم .

التدخين والفتق والبواسير :

الدخان هو احد العوامل المتسببة في احداث الفتق والبواسير ، والسبب في ذلك سهل جدا وهو كثرة السعال الذي ينتاب المدخن مما يؤدي الى ضعف العضلات البطنية ومنها ينتج الفتق ، وكذلك يؤدي الى ارتخاء عضلات المعصرة الشرجية وينتج عنها البواسير .

المضار الاقتصادية للتدخين :

كل منا يعرف هذه المضار سواء كانت على البيت الذي يعيش فيه المدخن او على المصلحة العامة ، ولا احب ان اتطرق الى شرح ذلك بالتفصيل ونتركها وضمير المدخن .

التدخين من وجهة نظر الدين الاسلامي :

عند دراسة قول الله تعالى « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** » .

« **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** »

« **ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما** »

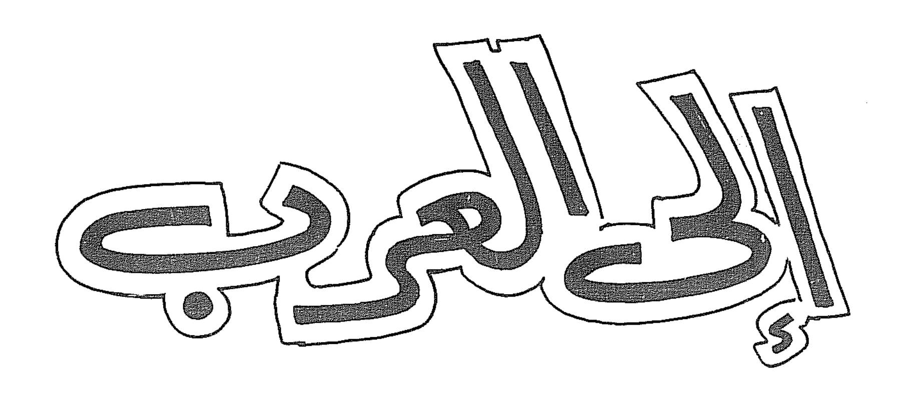
وعند الرجوع الى حديث الرسول (ص) « **نهى رسول الله (ص) عن كل مسكر ومفتر** »

وعند التعرف على القاعدة الاسلامية العامة « **لا ضرر ولا ضرار** »

وعند كشف ومعرفة مضار التدخين على المدخن والمجتمع والاسرة ،

افتى بعض العلماء انه مكروه وان الاصرار على المكروه حرام ، وافتى البعض الآخر انه حرام .

وقد نبه السيوطي على صحة حديث الرسول واستدل به ابن حجر على حرمة المفتر الذي لم يكن شرابا ولا مسكرا ومثل ذلك الدخان والتنباك ، فهذه كلها محرمة عملا بهذا الحديث لما هو ملازم لها من التخدير والتفتير . والله أعلم .



للاستاذ : عيسى البي ابي بكر

يا امة انحدرت من العدنان
عاشت على الصحراء خير مكان
ارض تلألأ فوقها نور الهدى
يا مرحبا بالنور ، بالاذعان
ما ضرها شيئا جدابة ارضها
فيها ترعرع سيد الأكوان
انا غبطنا فضلها وعلوها
سبحان من يعطي بلا حسبان

المسلمون جميعهم اتباعها
قودي زمام القوم بالقرآن
لولاك ما خرج الانام وما نجوا
من ذلك البهتان والخسران
ماذا رعاك الله قولي بيني
صنعت يداك وكان من رضوان ؟
اني نظرت الى الشعوب ولم اجد
شعبا يضاهي امة القحطان
ان اللغات تعددت وتباينت
ولسان اهل الشرق خير لسان

الوحي اعلن فضله هذا كفى
عزا فبشرى امة الايمان
اني ليحزنني كثيراً حالها
عاشت طويلا في لظى العدوان
وغدا زنيم القوم يقسم ارضها
من دون ما حق من الازمان
عجبا لقوم وحدت لهجاتهم
كل له عمل بلا ميزان
ماذا وراء الاجتماعات التي
جئتم اليها من جميع مكان ؟
ماذا وراء الاتحاديات من
اثر الوئام يرى لدى الاخوان ؟
والله قد اضحكتموا اعداءكم
الشر كل الشر ضحك الجاني
انا سئمنا ما يقول مذيعكم
« الحرب في قدس وفي لبنان
قتلوا صباح اليوم الف مواطن
قتلوا نساء الحي بالنيران
قذف العدو من السماء قنابلا
ذاقت سموم الموت بنت فلان
ان الاذاعة إن جهلت امورها
صنعت لبث البشر للانسان
يا ايها العرب قل لي لحظة
هل قد خلقت لهذه الأشجان ؟
إني لآمل ان اراك مكللا
يوماً بكل تنعم وأمان
أو أن أراك وقد لبست مفوفاً
ثوب العلى وخلعت ثوب هوان
يا ايها العرب الكرام تضافروا
وتعاونوا حتماً على الإحسان
لا تتركوا إبليس يفسد جمعكم
وتعوذوا بالله من شيطان
ردوا الى الأيام سابق عزكم
في الحكم والأخلاق والعمران .

حينما تسلم الزوجة .. ويكفر الأزواج!

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

لهذه الصورة وجوه متعددة ، لكل وجه منها حكمه الخاص .. وسنلقي اضواء على ما تناوله فقهاء الشريعة الغراء منها على النحو الآتي :

١ ـ لو تركت المرأة زوجها كافرا في دار الكفر .. وهاجرت مسلمة الى دار إسلام وليس في قصدها ان تعود الى حيث هاجرت ابدا .. وقعت الفرقة بينهما فورا على انها فسخ لا طلاق ، وهذا باتفاق الآراء بين الفقهاء ، ويرى ابو حنيفة رضي الله عنه انها ان كانت خالية من الحمل صح لها ان تتزوج غيره بدون عدة ولا تربص ، لأن حكمة مشروعية العدة اظهار خطر النكاح واحترام آثاره ، وافساح المجال للعودة الى زوجها بعد سكوت الغضب ، وهدوء الأعصاب ومعاودة الروية والتعقل والأناة ، وكل هذه حقوق قررها الاسلام للمسلم وللذمي وما دام في دار الاسلام ملتزما بأحكامنا ، واقعا تحت ولايتنا .. اما غيرهما فلا خطر لملكه في النكاح .. أما اذا كانت حاملا فيجب عليها قبل الزواج بغيره ان تتربص لا على وجه العدة .. بل على وجه الاستبراء حتى يرتفع المانع من النكاح بالوضع .. وذلك لأن الكافر في دار الحرب اسقط الشرع حقه في العدة على زوجته المسلمة او الذمية مادامت في ارض الاسلام بقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن**) الاية / ١٠ سورة الممتحنة .. فهذه الآية الكريمة قد أسقطت حق الكافر مادام في دار كفره في عدة امرأته التي خرجت مهاجرة باسلامها الى دار الاسلام .. وانما عليها الانتظار حتى الوضع احتراما لحق الولد الثابت النسب من أبيه الكافر .. وهذا يظهر بالنسبة الى المنع من النكاح احتياطا على ان هناك رواية اخرى عن ابي حنيفة هي اقل رجحانا في النظر من سابقتها ، وهي تبيح زواج هذه الحبلى بشرط الا

يقربها زوجها الا بعد وضع حملها قياسا على الزانية الحامل (فتح القدير ج٢ / ٣١٣ ٥) وسبب نزول الآية السابقة الذكر (كما في الكشاف ج٢ /٥١٣) ان صلح الحديبية كان يتضمن ان من أتى المسلمين مهاجرا من أهل مكة رده المسلمون اليهم ولا عكس ، وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم مازال بالحديبية .. فأقبل زوجها مسافر المخزومي ، وقيل صيفي بن الراهب فقال : يا محمد اردد علي امرأتي ، فانك قد شرطت ذلك ، وهذه طينة كتابك لم تجف فنزلت هذه الآية لبيان أنها خاصة بالرجال دون النساء .. وكان في بدء الاسلام يرد مهر زوجها الكافر اليه .. ثم نسخ هذا في آخر الاسلام بأول سورة براءة .. فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ما أسلمت الا حبا لله ورسوله .. فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق ، وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

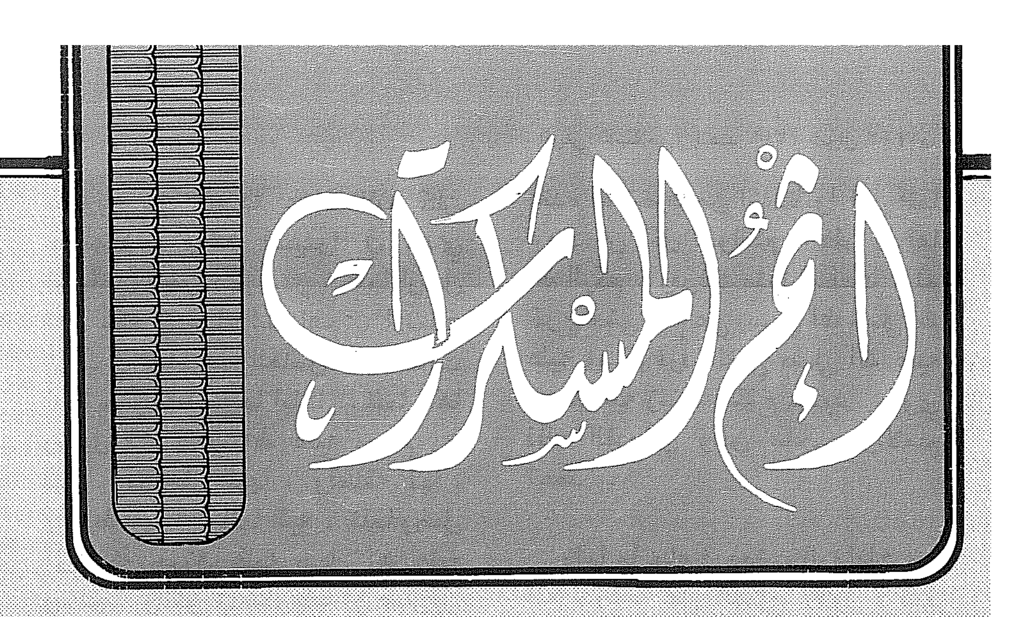
٢ ـ اذا اسلمت الزوجة في أرض الكفر دون زوجها لا تقع الفرقة بينهما بمجرد الاسلام لان الاسلام ليس سببا في الفراق والفساد .. بل عليها العدة ثلاثة اشهر ان كانت لا تحيض .. او ثلاث حيض ان كانت تحيض ثم تقع الفرقة بينها وبين زوجها بمجرد انقضاء العدة لأنها شرط البينونة .. فأقيم الشرط مقام المشروط عند تعذره .. وهذا لأن عرض الاسلام على زوجها غير ممكن لوقوعه خارج ولايتنا .. ولا بد من ايقاع الفرقة منعا للفساد المرتب على التباين في العقيدة ، ولا فرق هنا بين المدخول بها وغير المدخول بها .. لان الفرق بينهما انما هو في حال الطلاق .. اما هنا فحالة اسلام احد الزوجين لا طلاق .

٣ ـ اذا اسلمت الزوجة دون زوجها وهما في دار الاسلام لا تقع الفرقة بينهما في الحال ولكن لا تمكنه من نفسها .. ويعرض عليه الاسلام من ولي الأمر .. فان أسلم فهما على حالهما ولا يتجدد عقد النكاح .. وان أبى فرق القاضي بينهما .. وكان ذلك التفريق طلاقا .. وان لم يعرض على زوجها الاسلام .. حتى مضت عدتها .. فمن حقها ان تتزوج بغيره كما في الزيلعي ، وحيث جاءت الفرقة من جانبه بإبائه الاسلام فينوب عنه القاضي في ايقاع الطلاق لولايته عليه .. وذلك لأنه لا بد من سبب تضاف اليه الفرقة ، والاسلام وحده لا يصلح سببا لوقوعها لانه عاصم للأموال والدماء والأعراض بقوله صلى الله عليه وسلم : « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ، الا بحقها ، وحسابهم على الله » متفق عليه .. ومجرد اختلاف الدين لا يصلح سببا للفرقة كذلك ، لأنه يجوز تزوج المسلم بالكتابية ، وكفر المصر على كفره لا يصلح سببا للفرقة في أصل الزواج ، لأنه يجوز زواجه بها قبل اسلامها .. فلم يبق من الأسباب صالحا لاضافة

الفرقة اليه الا اباؤه الاسلام بعد دخول زوجته فيه ، لأنه يصلح قاطعا لعقدة النكاح ، فكان هو السبب المناسب ، والدليل على ذلك ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب الزهري : « أن ابنة الوليد بن المغيرة كانت تحت صفوان بن أمية ، فأسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها صفوان بن أمية من الاسلام . فلم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته حتى أسلم صفوان واستقرت عنده امرأته بالنكاح الأول .. وصفوان بن أمية هذا استأمن له عمير بن وهب يوم الفتح وقال : يا نبي الله ان صفوان سيد قومي .. وقد هرب خوفا منك .. ليقذف بنفسه في البحر (السيرة الحلبية ج٣ / ١٠٦) .. فأمنه على نفسه .. فانك أمنت الأحمر والاسود .. فقال صلى الله عليه وسلم أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال : أعطني يارسول الله علامة يعرف بها أمانك له .. فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة .. وكان صفوان قد رفض العودة مع ابن عمه الا بهذه العلامة .. فلحقه عمير وهو يهم بركوب البحر .. فطلب منه العودة الى مكة وله الأمان .. فقال له : اغرب عني لا تكلمني .. فقال له عمير : يا صفوان فداك أبي وأمي .. جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس .. وابن عمك .. عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك .. قال : اني أخافه على نفسي قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان هذا يزعم أنك أمنتني .. فقال صلى الله عليه وسلم : صدق .. فقال يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين ، فقال له صلى الله عليه وسلم : أنت بالخيار اربعة أشهر .. ثم خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، ولما فرق الرسول غنائمها بالجعرانة رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر معجبا الى شعب ملآن أنعاما وأغناما .. فقال له صلى الله عليه وسلم : يعجبك هذا ؟ .. قال : نعم ، قال .. هو لك وما فيه .. فقبض صفوان ما في الشعب وقال : ما طابت نفس احد بمثل هذا الا نبي ثم أسلم .. وقد تأيد هذا الحكم بما ذكره الطحاوي وابن العربي (فتح القدير ج٢ / ٥٠٧) من ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرق بين نصراني ونصرانية باباثه عن الاسلام .. كما ذكر ان رجلا من تغلب اسلمت امرأته وكانت نصرانية فرفعت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له أسلم والا فرقت بينكما .. فأبى .. ففرق بينهما واشتهر بين الصحابة هذا الحكم بدون خلاف منهم له ، ولا اعتراض عليه .. ويدل لذلك قصة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها ابي العاص بن الربيع .. فانها أسلمت بمكة في ابتداء الدعوة حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم زوجته خديجة وبناته ، واستمر ابو العاص على شركه بمكة .. الى ان وقعت غزوة بدر الكبرى .. وزينب

مغلوبة على أمرها عنده لأنه كان حابسها .. فوقع اسيرا في ايدي المسلمين فيمن اسر ببدر .. فلما أرسل اهل مكة في فداء اسراهم .. ارسلت زينب في فداء ابي العاص قلادة كانت امها خديجة اعطتها اياها .. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها .. فردها عليها ، وأطلقه لها ، وشرط عليه ارسالها اليه .. فلما وصل الى مكة جهزها اليه صلى الله عليه وسلم .. واتفق في مخرجها ان هبار بن الأسود أثار عليها ركوبتها بحربته فوقعت زينب وكانت حاملا .. فأجهضت ، وظلت مريضة بسبب ذلك حتى ماتت .. ولذلك لم يعف الرسول صلى الله عليه وسلم عن هبار يوم الفتح ولو تعلق بأستار الكعبة وامر بقتله فقتل .. فلما كان قبيل الفتح خرج ابو العاص في تجارة له الى الشام .. فأخذته سرية من المسلمين واحتجزت ماله واعجزه الهرب منهم .. فدخل بليل على زينب وطلب منها ان تجيره عند ابيها صلى الله عليه وسلم فأجارته .. ثم كلم الرسول عليه الصلاة والسلام في شأن السرية فردوا اليه المال .. واحتمله الى مكة .. فأدى ما عنده من ودائع وامانات وبضائع وكان رجلا امينا كريما .. فلما لم يبق لأحد عليه حق ولا علقة .. قال : يا اهل مكة هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا .. فجزاك الله عنا خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما .. قال : فاني اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوفا من ان تظنوا اني انما اردت ان آكل أموالكم .. فلما أداها الله اليكم .. وفرغت منها أسلمت .. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد النبي صلى الله عليه وسلم اليه زينب بنكاح جديد .. روي ذلك الترمذي وابن ماجه والامام احمد ..

واما ما جاء في بعض الروايات من انه « ردها على النكاح الاول » فهو محمول على معنى : بسبب سبق النكاح الاول مراعاة لحرمته .. كما يقال : ضربته على اساءته .. اي السابقة وقيل معنى قوله « على النكاح الاول لم يحدث شيئا » اي لم يحدث زيادة في الصداق وغيره في النكاح الثاني .. على مثل ما وقع في النكاح الاول .. وهو تأويل حسن .. جمعا بين الأدلة .. وهو اولى من اعمال بعضها واهدار بعضها .. وخصوصا ان هذا التأويل مثبت ، وغيره ناف .. والاول من وجوه الترجيح عند التعارض في مسلك الفقهاء المجتهدين .. وما جاء في بعض الروايات من ان زينب فارقت أبا العاص ست سنين او ثمان .. او ثلاث فمحمول على التفارق بالأبدان بعد غزوة بدر لا بالبينونة لأنها كانت قبل ذلك .. لأنها ان وقعت البينونة بينها وبين زوجها من حين أسلمت فالمدة تقرب من عشرين سنة .. الى اسلامه .. وان وقعت من حين نزل قوله تعالى : (**ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا**) البقرة / ٢٢١ وهي مكية فأكثر من عشر سنين ..



للدكتور
محمود ناظم النسيمي

الخمر في اصطلاح الاسلام هي اسم لكل مسكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب،لم يشربها في الآخرة » رواه مسلم وابو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي رواية لمسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » .

يدافع بعض الشاربين عن تعاطيهم للمسكرات أو لنوع منها بأنهم إنما يقدمون على ذلك تداويا رجاء منفعة معينة : وقد غفلوا ان ما يلحقهم من ضرر وإثم وخاصة اذا استمروا على تعاطيها هو أكبر من نفعها الموهوم . وسأقابل كل منفعة متوخاة بما يقابلها من أضرار .

١ ـ التنبيه في حالات الخور والوهن :

يمتص الغول « وهو روح المسكرات » بسرعة ويطرح ببطء ، وترتفع نسبته في الدماغ والسائل الدماغي الشوكي اكثر من بقية نسج البدن وسوائله ، فيظهر لأول وهلة كمادة منبهة يستفاد منها في بعض حالات الخور في البدن ، ولكن ذلك لا يدوم طويلا ، ويكون ذلك التأثير أفضل كلما كان تكرار استعمال المسكرات قليلا ، لأن الامعان في استعمالها مرارا رغبة باعادة النشاط او الاستمتاع باللذة او النشوة التي تحدثها يجر الى الاعتياد فلا تؤثر عندئذ الا اذا زيد مقدارها اكثر فاكثر ، وهذا ما يؤدي بمتناولها الى الإدمان ولذا لا يمكن الاعتماد على ذلك التنبيه في معالجة الوهن لأنه تأثير مؤقت وعرضي لا يتناول سبب الضعف

والوهن . اما التفتيش عن السبب ومكافحته ومعالجة الوهن فهي من مهمة الطبيب .

٢ ـ النشوة والجرأة وسلوان الهموم :

للغول تأثير مثبط في المراكز القشرية من الجملة العصبية المركزية ، تلك المراكز الناهية التي تشرف على حسن السلوك ، فيظن الناس ان هذا التأثير منبه وما هو الا مثبط ، ونتيجة لذلك يشعر الشارب في اول السكر بالنشوة فيبدي استرسالا بالكلام ثم يحس بالارتخاء والدوار الخفيف وبالابتهاج والتفاؤل الشديد مع التخلي عن التبعة الأدبية ، حيث تقل صفة ضبط النفس فيتكلم ويتصرف بسلوك يستحي ان يقوم به قبل سكره .

ولدى زيادة السكر تنجم عنه ثرثرة وشعور بالقوة غير الاعتيادية والتطوح وحالة انشراح او على العكس كآبة . ولا يلبث ان يأخذه النعاس المتزايد مع العربدة والصياح أو البكاء .

٣ ـ الدفء وتوسيع شراين القلب :

تتوسع بالغول عروق الجلد ويبدو التوسع ايضا في الشريانين الاكليليين بالمقادير المتوسطة من الغول ، ولذا يشعر الشارب بالدفء . ولكن بازدياد الانتشار الدموي في الجلد تهبط حرارة الجسم الداخلية بضياع الحرارة ، ويشتد هذا الضياع لدى بلوغ السكر اقصى شدته بالاضطراب العارض على المراكز المنظمة للحرارة ويبدو هذا الأثر الضار اكثر في الاصقاع الباردة لشدة الحاجة الى حفظ الحرارة فيها . ومن الحوادث ما يظهر فيها وهط الدوران ، ويكون الموت اما سريعا واما بعد سبات عميق .

ويخطىء كثيرا اولئك الذين يعتقدون ان قدحا من الكونياك مثلا يمنع البرد واذاه فيمن يضطر للتعرض اليه ، ورب قليل من احد الاغذية السكرية كالدبس مثلا ينشط احتراقات البدن ويزيدها أجدى بكثير من تلك المشروبات السامة .

واذا كان الغول « ويسكي كان او غيره » يوسع الشرايين الاكليلية « القلبية » فان مقاديره المتوسطة ترفع الضغط وتزيد قوة التقلصات القلبية وتواترها ، وهذا ما يدعو لاحتقان الوجه وارتفاع الحرارة المحيطية . وشوهد عكس ذلك بالمقادير الكبيرة بسبب تنبه نوى العصب المبهم .

وفي الادمان ترتشح عضلة القلب

بـالـدهـن وتتنكس . وتنقص البيراوانسيدر نشاط حل الفبرين ، وقلة نشاط حل الفبرين يزيد من تصلب الشرايين .

٤ ـ تنبيه الشهية للطعام :

ينبه الغول بتخريشه الخفيف بمقاديره القليلة في المشروبات الخفيفة افراز اللعاب وعصارة المعدة مع كثرة حمض كلور الماء فيها ونقص البيسين فيثير بذلك الشهية للطعام وخاصة اذا اخذ والمعدة فارغة ، ولكنه يثبط مفرز المعدة بالكثافة الشديدة من الغول كما في الاشربة الكثيفة كالعرق والويسكي والفودكا .. الخ فتكون هذه بذلك مانعا لسير الهضم ، وباشتداد السكر يظهر الغثيان والقيء مع ضعف في التحكم .

ويـلاحظ في الذين يـدمنـون الاشربة الغولية بنظام او يكثرون منها نقص شهوتهم للطعام ويبدو فيهم عوز الفيتامين .

وبـإدمـان المسكـرات تلتهب المعدة ويحتقن الكبد ويقصر في وظائفه وينتهي أمره الى تشمع الكبد الضموري .

٥ ـ إدرار البول :

يزداد مفرز البـول بالمقـادير القليلة من الاشربة الغولية ومنه تأثير هذه تأثيرا مدرا ، ولكنها تنقص اطـراح حمض البـول والفوسفات . هذا اذا أخذت مرات قليلة . اما اذا توالى دخول الغول الى الجسم ولو بمقادير قليلة فانه لا يدع عضوا ولا حسا في الجسم الا اخل بخلاياه ونسيجه وأوعيته وأعصابه ووظائفه الفسيولوجيـة اخلالا تظهر عوارضه آجلة ان لم تظهر عاجلة . وقد يؤدي هـذا الادمـان الى التـهـاب الكـلى وقصورها .

فلا مبرر بعد هذا البيان الى استعمال البيرة كمدر للبول ، فإن ادمان هذا المشروب الخفيف يؤدي الى فرط السمن واتساع المعدة والبيلة الآحينية وضخامة القلب ، وهي أيضا تؤهب للبيلة السكرية والنقـرس وتصلب الشـرايـين . وأضرار البيرة لا تنجم عن الغول الذي فيها فقط ، بل لما فيها أيضا من حمض الصفصاف ، الذي يضاف اليها لحفظها ، ولما فيها من مـواد تغش بها بـدل حشيشة الـدينار . ولأن شـارب الجعـة « البيـرة » يتناول الكؤوس بـلا حساب ، وبذلك يدخل الى جسمه مقدار غير قليل من الغول وحمض الصفصاف والسوائل .

يقبل معظم متعاطي الاشربة الغولية عليها لتخفيف التوتر العقلي ولجـعـل الجسم يسـترخـي ، وبصـورة خاصـة لأنها تجعلهم

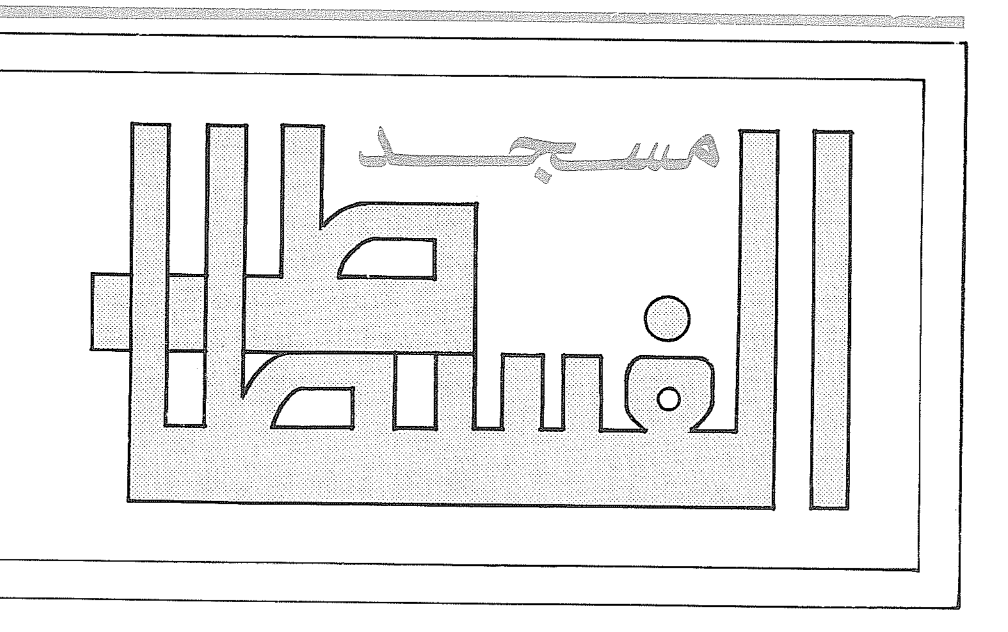
يشعرون بالانطلاق اجتماعيا . وقليل منهم من يقبل عليها للفوائد الموهومة التي عددتها ثم ذكرت المضار التي تقابلها ، ومهما كانت الدوافع فان المآسي الاجتماعية والأضرار الجسدية الناجمة عن تجرع الاشربة الغولية تجعل العاقل يبتعد عنها ، ولذا هبت امم العالم كلها للدعاية ضد اخطارها ومحاربتها .

والى جانب ما ذكرت فان كل فائدة متوهمة في المسكرات موجودة حقيقة في اشربة او اغذية او ادوية مباحة متوفرة ، يوضحها الطبيب ويسهل الحصول عليها بأقل كلفة دون التعرض لاضرار المسكرات التي تزداد بالاعتياد عليها ثم بالإدمان .

ولا يشترط في حدوث اعراض الادمان وعوارضه ان يكون المدمن على الاشربة الغولية تعتريه حالة سكر بينة ، بل من الناس من هم ذوو احساس بين يصبحون في عداد المسمومين الزمني بمقادير قليلة من احد الاشربة .

ان الشعور بالدفء والنشاط والابتهاج والتفاؤل والانطلاق اجتماعيا بالمقادير المعتدلة من الاشربة الغولية يدعو معظم الشاربين لتكرار تجرع تلك الاشربة . ولكن اذا حدث الامعان في استعمالها مرارا جر ذلك الى الاعتياد ، فلا تؤثر تلك الاشربة الا اذا زيد مقدارها اكثر فاكثر ، وهذا ما يؤدي بمتناولها الى الإدمان ، حيث يتجلى الانسمام الغولي المزمن « او العلة » بجميع اخطاره على الكبد واجهزة الجسم وعلى النفسية والعقل حيث يكشف الفحص عن التهاب المعدة الضموري او التقرحي وعن احتقان الكبد وايجابية علامات قصور الكبد مخبريا وتنتهي الحال بضمور الكبد « تشمع لائنك الضموري » والتهاب الاعصاب وقد ينضم الى ذلك اعراض التهاب عضلة القلب والعصيدة العرقية والتهاب الكلى . ويصير المدمن كثير التحرش ضيق الخلق ويظهر فيه حب المشاحنة والاعتداء .

قال الله تعالى : **(يا ايها الذين امنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون)** المائدة / ٩٠و٩١ . وقال رسوله صلى الله عليه وسلم : « ما اسكر كثيره فقليله حرام » رواه ابو داود وابن ماجة والترمذي وحسنه وصححه ابن حبان وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : عندنا أنبذة ، انتداوى بها ؟ قال : « أهي مسكرة » ؟ قال : نعم ، قال : « إنها داء وليست بدواء » رواه مسلم والبيهقي .



من عادة المسلمين حين يفتحون بلدا جديدا ، ان يبدأوا باقامة مسجد لهم ، يكون مقرا للعبادة والشورى والتعليم جميعا ، وما فتحت مصر حتى شرع عمرو بن العاص في اقامة اول مسجد بها ، وكانت مساحته لاول عهده خمسين زراعا طولا في ثلاثين ذراعا ، وقد وقف على اقامة قبلة المسجد ثمانون رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وابو الدرداء ، وفضالة بن عبيدة ، وعقبة بن عامر ، وابو ذر ، ورافع بن مالك ، وما برحت وسائل التوسعة والتحسين تتعاقب عليه في عهود معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وسليمان بن عبد الملك ، ومن خلفهم على كر العصور حتى اصبح مضرب المثل تشييدا وعمرانا .
ومنذ انشىء المسجد وهو معهد للعلم ، يدرس فيه النابغون من صحابة رسول الله ، واشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص وسنخصه بتعريف موجز في هذا الفصل ، واذكر ان محمد بن الربيع الجيزي الف كتابا فيمن دخل مصر من الصحابة ذكر فيه مائة واربعين صحابيا وجاء السيوطي فارتفع بالعدد الى ثلاثمائة ، واكثر هؤلاء قد رجعوا الى المدينة بعد تمام الفتح بأمد معقول ، وفيهم من ظل يهدي الى سبيل الرشاد ، فاشتهر بعضهم بالافتاء ، وبعضهم بالقضاء ، وهما من التشريع الاسلامي في لباب اللباب ، وعكف تلاميذهم من بعدهم على تلقي العلم وفيهم من رحل الى المدينة والعراق طالبا مستفيدا ثم رجع يذيع هدية في المسجد الجامع ومن اشهر من عرفوا بالعلم من تلاميذ الرعيل الاول يزيد بن ابي حبيب ، وابن لهيعه ، وابن وهب ، والليث بن سعد .



اما يزيد بن ابي حبيب فهو بربري الاصل ، وقد رزق الحظوة في تفهم العلم ، وكان عاقلا مهيبا حليما ، ويقول المؤرخون انه اول من نشر الفقه في مصر بعد صحابة رسول الله ، اذ ورث منهم علما كثيرا اذاعه في المسجد ، كما روى عن سالم ونافع وعكرمة ، ولم يقتصر على الفقه ، بل اهتم بالغزوات والفتوح فكان الاساس الاول للمدرسة التاريخية بمصر .

واما ابن لهيعة ، فقد كان والده من العرب الوافدين ، وقد اخذ عنه الحديث ، واكثر من روايته اكثارا لم تكن موضع القبول من بعض المحدثين ، وليس هذا بعيب ، فكل عالم يؤخذ ويرد من قوله ، واذا كان قد تولى القضاء بمصر تسع سنين ، فمعنى ذلك انه كان ثقة في احكامه الشرعية ، يطمئن الناس الى دروسه بالمسجد كما يطمئنون الى حكمه في الاموال والدماء ، ولا يمكن ان نغفل ابن وهب ، وهو ابو محمد عبد الله القرشي ، وقد امتاز بكثرة الرحلة وبرع في الحديث ، فاختار منه كتابا سماه « الجامع في الحديث » رتبه على كتب متوالية ، وقد بلغ من الشهرة مبلغا جعل مالك بن انس يراسله ، ويصفه بوصف المفتي ، ومالك ـ بعد ـ اخبر الناس بالعلماء ولا يهتم الا بذوي النفاذ والسداد .

وقد بلغ الليث بن سعد من الفقه مبلغا رفعه الى مصاف الائمة الكبار من امثال ابي حنيفة ومالك والشافعي ، وله مناظرات علمية مع الامام مالك رضي الله عنه .

على ان تلاوة القرآن كانت ذات ذيوع بالمسجد ، اذ انتشر به جماعة من القراء يتلون كتاب الله بقراءة ورش عن نافع ، وورش هذا هو عثمان بن سعيد القفطي ، مصري اصيل رحل الى المدينة فقرأ بها على نافع تلميذ عبد الله بن عمرو ، ورجع لينشر قراءته بالديار المصرية في حلقته بمسجد الفسطاط ، وعنه انتقلت قراءة نافع

الى المغرب فما زال القوم يقرأون بها الى اليوم ، وكانت المصاحف تكتب في مصر بكثرة ليتداولها الحافظون من الكبار والصغار ، وكانت اجزاؤه توضع بكثرة في المسجد لتكون يسيرة المنال على القارئين ، وقد قرأنا في تاريخ الحاكم بأمر الله أن بعث من قصره الى مسجد الفسطاط بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات ، كلها قد كتب بالذهب ، ومكن الناس من التلاوة فيها تشجيعا وترغيبا ، كما ارسل نجفا من الفضة يعلق بالمسجد حتى يتمكن التالون بالليل من القراءة على ضوئه ! ويالها عناية كبرى حين يكتب المصحف بالذهب ويقرأ في مصابيح الفضة ! وليس المكتوب عشرة مصاحف بل الف وثلاثمائة تقريباً !

وفي مجال الموازنة بين التعليم بجامع عمرو والتعليم بالجامع الازهر بمصر يقول الدارسون ان مسجد الفسطاط وان سبق الجامع الازهر في التدريس العلمي بنحو من اربعة قرون ففيه فرق واضح بين التدريس بالمسجدين ، لأن التدريس بجامع الفسطاط كان حسبة لوجه الله تعالى ، حيث يندفع المدرس والطالب تلقائيا الى ممارسة التعليم ، والتعليم حسبة لوجه الله دون مقابل ما تبذله الدولة ، اما التدريس في الجامع الازهر فكان له اجره المبذول للمدرس قل او كثر ، وذلك في الاعم الاغلب ، اذ لا يمنع احد عالما يتبرع بالتدريس في المسجد حسبة دون راتب ، كما يقولون في صدد الموازنة بين المسجدين ، ان طلاب الفسطاط يطلقون اسم « الزاوية » على مكان الدرس ، اما طلاب الازهر فيطلقون اسم الحلقة على موضع التدريس ، واصطلاح الزاوية يوحي بالاقامة المستمرة بالمسجد ، اما الحلقة فتقوم ساعة الدرس ثم تنفض عقب انتهاء الاستاذ .

وبمقارنة الحركة العلمية في مسجد الفسطاط بمثيلاتها في مساجد العواصم الاسلامية ، نجد ان حركة الفسطاط لا تتقيد بمذهب لامام خاص ، فمن علماء المسجد المصري المالكي والحنفي والشافعي ، والمنفرد بمذهب خاص كالليث بن سعد ، اما مسجد المدينة فينحو منحى المذهب المالكي وحده ، وكذلك تنحو مساجد الكوفة والبصرة منحى المذهب الحنفي ، لأن تلاميذ الامامين ، هناك يتقيدون بمنحى الامام ، اما في مصر فلكل فقيه ان يتجه وجهته الخاصة بميله العلمي ، وقد ظلت هذه الحرية بين العلماء حتى بعد وفود الامام الشافعي الى مصر ، والتفاف الناس حوله ، لأن وجود فقيه كبير ، وامام عظيم كالشافعي رضي الله عنه ، لا يمنع الدارس ان يرد ما يختار من موارد العلم ، وكلها ذات ري وغذاء .

يقول الاستاذ محمد محمد المدني رحمه الله : « لقد كان المسجد الجامع يومئذ ، وهو مسجد عمرو بن العاص اشبه بنبع صاف فياض يزدحم حواليه الوارد ، بل اشبه بجامعة علمية كأرقى ما نعلم من الجامعات الحديثة ، تلتقي فيها الدراسات ، وتدور المحاورات ، وتعقد المناظرات ، وتعرض الكتب والتأليف والرسائل ، وتنقد المذاهب ، وتمحص المسائل ، في كنف من حرية الرأي ، واستقلال الفكر ، وادب البحث وعفة المقال ، فاذا افضى الامر في شيء من ذلك الى

خصومة فهي خصومة شريفة ، غايتها الوصول الى الحق ، قد تشتد احيانا وتعظم حتى يخيل أليك انها حرب عوان ، وهي حرب اي حرب ، ولكن جندها العلماء ، وقادتها الائمة الاعلام ، وسهمها الحجة والبرهان ».

فمن اعلام المذهب الحنفي بجامع عمرو اسماعيل بن اليسع الكوفي ، وقد وفد قاضيا في عهد المهدي فأذاع فقه اصحاب الرأي ، وتوافد القضاة من الاحناف في عهود الرشيد والمأمون والمعتصم يعاونون على نشر آراء امامهم ، على حين كان فقهاء المالكية أولى حظوة في الدروس العلمية ، وكلهم اعلام ائمة من امثال عبد الرحمن بن القاسم واشهب بن عبد العزيز وهما من مذهب مالك بمنزلة ابي يوسف ومحمد بن الحسن من مذهب ابي حنيفة ، ثم جاء الامام الشافعي فأحدث حركة فقهية ذات امتداد ، وكان محور نقاش هادف بين الاعلام الكبار وقد اذكى بين المصريين روح المناقشة والجدل ، وانفردت مؤلفات كثيرة بالرد عليه ، وتلتها مؤلفات ترد على ما قيل ، ثم انتقل الى جوار ربه ، فلم يهدأ النقاش بل امتد بين تلاميذه وتلاميذ مخالفيه !! كان الشافعي رحمه الله غيثا دافقا فملأ الانهار والينابيع ، واذا كان الشافعي ذائع الشهرة فاننا سنختار من علماء المسجد النبوي عبد الله بن عمرو اذ لم ينل ما يستحقه من دراسة علمية تبرز اثره الكبير في الثقافة الاسلامية بعامة ، وفي الحركة الفكرية الناشئة بمصر عقب الفتح الاسلامي بخاصة ، لأن الصحابي الكبير كان ذا ثقافة شاملة بالنسبة لزمنه ولزملائه ، اذ انه مع اجادته الكتابة والقراءة في معشر امي كان يقرأ بالسوريانية ، وكان يطالع التوراة فاهما مقارنا ، وقد أسلم قبل ابيه ، لأنه حاول ان يدرس الاسلام فيما يسمع من نصوص القرآن ، فوجد لكلام الله عز وجل بشاشة خالطت فؤاده ، وكأني به وقد اصغى الى صدق حججه ، وقوة منطقه ، فلم يستطع صبرا على اعتناقه ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما منيبا ، وقد كان المامه بالتوراة احد دوافعه الى دين الله .

ففي صحيح البخاري عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فقال : اجل ، والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن حيث يقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر حتى يقيم به الملة العوجاء** » قال عطاء بن يسار : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا .

وقد عهدنا بعض الكاتبين يدرس أمثال كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام من مسلمة اهل الكتاب ليبين أثر قارىء التوراة في المحيط الاسلامي في الصدر الاول من عهد الدعوة ، ولم نجد فيهم من يشير الى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكأن هؤلاء متعمدون ان يغفلوا دور الصحابة الخلص في سعة الاطلاع ،

وقوة الالمام لحاجات في نفوسهم ، وتلك حقيقة نبه اليها الأستاذ صادق ابراهيم عرجون ، حين قال رحمه الله :

« كان يجدر بمؤرخي الاسلام ورجال الحديث وكاتبي السيرة النبوية وعلماء التفسير أن يجعلوا علم عبد الله بن عمرو وأضرابه من الثقات والاثبات ميزانا لعلم غيرهم من رواة اخبار التوراة ومقياسا لروايات الذين اكثروا من الحديث عنها من امثال كعب الاحبار ، ونوف البكالي ووهب بن منبه ، لأن منزلة عبد الله بن عمرو من الصدق والاتقان والفقه ترفعه عن منازل الارتياب ، ولو ان العلماء تنبهوا الى مثل هذا منذ القدم لامكن تصفية التاريخ الاسلامي من هذه الأقاصيص الاسرائيلية المهلهلة التي ملأت كتب التفسير والسيرة والحديث ، واذ فات هذا فلا اقل من ان يجعل الباحثون احاديث عبد الله واضرابه بعد التثبت من صحة روايتها وسيلة لامتحان هذه القصص المسطورة في الكتب ».

ولقدرة عبد الله بن عمرو على القراءة والكتابة كان احد الذين دونوا حديث الرسول في الصحف سماعا منه ، فقد لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ان اسلم ، واستأذنه ان يكتب حديثه ، فأذن له ، فقال عبد الله : يا رسول الله ، أأكتب ما أسمع منك في الرضا والغضب ؟ قال : « نعم ، فاني لا أقول الا حقا ».

ونحن نعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ، اذ حرص على أن يحفظ كل ما يسمع عنه ، ولكنه اعترف بأن عبد الله بن عمرو يحفظ من حديث رسول الله أكثر مما يحفظ ، وعلل ذلك حين قال : « ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله مني الا عبد الله بن عمرو فانه كان يعي بقلبه وأوعى بقلبي ، وأنا لا أكتب ».

وأثر عبد الله في تدوين الحديث النبوي لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موضع تردد من الذين يحاولون ان يطعنوا في رواية الحديث ، اذ يعلنون انه لم يدون الا بعد أمد بعيد من رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصلوا بذلك الى ما يريدون من هدم لأصل ثابت من اصول التشريع ، ولكن الروايات المتواترة عن تدوين عبد الله لما كان يسمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلتهم يتململون كراهية ، ولو أخلصوا للحق لاتبعوه حين تظهر دلائله ساطعة دون التباس .

واذا كان عبد الله من رواة الحديث وحفاظه ، ومن دارسي أخبار الانبياء والمرسلين في القرآن والتوراة ، فان أثره في مسجد الفسطاط بمصر ، قد كان من الوضوح بحيث ترك تلاميذه ينهجون نهجه في المحافظة على المأثور الصادق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي دراسة أخبار السابقين وروايات التاريخ وقصص الفتن والحروب ، لذلك عده مؤرخو الحركة العلمية في مصر اول استاذ لهذه الحركة المباركة ، وعدوه المؤسس الحقيقي للعلم في هذه البلاد ، اذ اخذ عنه كثير من اهل مصر مكبرين مقدرين ، وكان يسمى صحيفته التي دون فيها حديث رسول الله « الصادقة »، ويقول عنها : « فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله

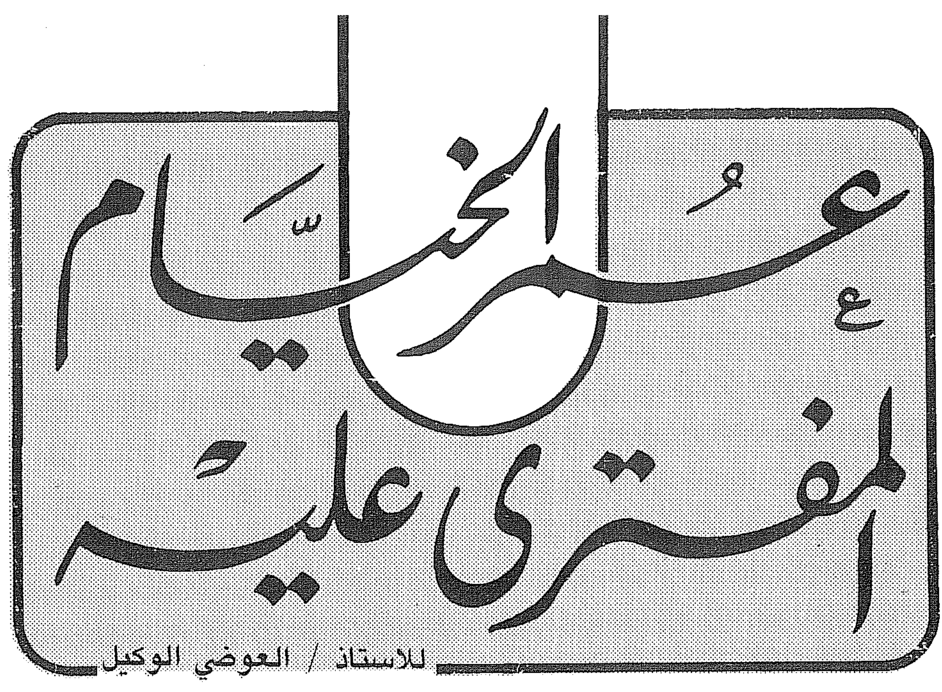
عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد »، كما كان يحج ويعتمر ويأتي الشام ثم يرجع الى مصر ، وقد شافه الصحابة ونقل عنهم ونقلوا عنه ، وحرصوا على لقائه ، وما ظنك بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وقد علمت بمقدمه ، فقالت لابن أختها عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : يا ابن أختي ، بلغني ان عبد الله بن عمرو مار بنا الى الحج ، فقم والقه واسأله ، فانه حمل عن رسول الله علما كثيرا .

ولم يكن عبد الله عالما فحسب ، ولكنه كان عابدا من طراز متشدد ، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : حدثني عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ، فقلت بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك ان تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر امثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله ، قال عبد الله : فشددت فشدد علي ، قلت : يا رسول الله اني اجد قوة ، فقال : صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه ، نصف الدهر ، فكان عبد الله ، يقول بعد ما كبر : يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ».

ولا يتسع المجال لرصد ما يحمل هذا الحديث من العبر ، ولكن الذي لا يفوتنا منها هو شدة حساسية عبد الله نحو ربه ، اذ ينهض لعبادته صائما قائما ، وهو بالأحرى ذو حساسية مفرطة حين يحدث عن نبيه ، وحين يبين الحلال والحرام لمن يجتمع حوله من السامعين .

على ان اهل مصر قد تناقلوا احاديث ابن عمرو تدوينا وكتابة ، فاقتدوا به في تسجيل المأثور عن رسول الله ! وذلك ما ينقض المتعارف من ابطاء حركة التدوين الى عهد بني مروان ، فقد روي المقريزي عن حيوة بن شريح قال : دخلت على حسين بن شفي الاصبحي ، وهو يقول : فعل الله بفلان ، فقلت له : ما له ؟ فقال : عمد الى كتابين كان ابن شفي جمعهما مما سمع من عبد الله عن رسول الله احدهما عن اقضيته والثاني أنباء يوم القيامة ، فأخذهما وأضاعهما ، ومعنى ذلك أن الحديث لم يكن مدونا فحسب بل كان مبوبا وفق الموضوعات فللاقضية باب ، ولاخبار القيامة باب ، وهكذا . ومعناه الثاني أن مصر قد أسهمت في رواية الحديث ونقله منذ عهد مبكر ، وأن مقام عبد الله بها قد ترك أثره في هذا الاتجاه ، واذا وجدنا أمثال يزيد بن حبيب ، وابن لهيعة ، وابن وهب يتجهون وجهة المأثور في الافتاء فذلك توجيه عبد الله .

واذا كان الليث بن سعد من ابرز أعلام التشريع في مصر ، حيث انتهى اليه ما تسلسل منذ عهد ابن عمرو من القضايا والأحكام وشاع ذكره حتى عد بين الأفراد ، فان التاريخ ليحفظ له مناظرة فقهية بينه وبين مالك تصور ما كان يجري من حوار بين عالم المسجد النبوي وفقيه المسجد المصري ، وفي الالمام بها ما يبرز تصاول العقول ، وتبادل الافكار مهما بعد المدى ونأت المسافات .



للاستاذ / العوضي الوكيل

الخيام ، وناس يقولون الخيامي ، هو أبو الفتح غياث الدين ابن إبراهيم النيسابوري أما لقب الخيام أو الخيامي فقد ذكروا أنه لقب بذلك لاشتغاله أو والده بهذه المهنة ، **مهنة صناعة الخيام** .

مولده في مدينة نيسابور من اعمال خراسان في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي .

وكانت وفاته . كما يقول خير الدين الزركلي في الأعلام سنة ٥١٥ هـ أي في سنة ١١٢٣ الميلادية ، قال الزركلي : إنه دفن في مقبرة إمام زادة المحروقي الواقعة في حي حيرة من ضواحي نيسابور ، وقد ذكر ذلك رواية عن تلميذ الخيام أبي الحسن بن عمر النظامي العروضي السمرقندي في كتاب فارسي له اسمه « جهار مقالة » الذي يعده الباحثون اقدم كتاب تاريخي واوثق سند علمي عن عمر الخيام وعصره وحياته .

وقد تنبأ الخيام بموضع قبره قبل ان يموت ، قال السمرقندي :

« كان الامام عمر الخيامي . وكان السمرقندي يلقبه بالامام - قد نزل بسراي الأمير ابي سعيد ببلدة بلخ سنة ٥٠٦ هـ ومعه الامام الأسفزاري فالتحقت بهما وفي أثناء الصحبة سمعت حجة الحق عمر الخيام . وهذا أيضا لقب كان يلقبه به تلميذه السمرقندي يقول :

إن قبري سيكون في موضع تنثر الريح علي فيه الأزهار في كل ربيع ، فاستبعدت هذا التنبؤ ، ولكني علمت أنه لا يكذب . ولما وصلت نيسابور سنة ٥٣٠هـ ذهبت إلى ضريحه . لانه كان له حق الأستاذية علي فوجدت ضريحه في جنب سور حديقة ورأيت أشجار الكمثرى والمشمش قد نثرت عليه من تلك الحديقة نَوّارَها بحيث

تواري جيرته تحت أوراق النَّوار فتذكرت القصة التي كنت سمعتها منه في مدينة بلخ فبكيت ، وكنت لا أجد للخيام نظيراً في بسيط العالم وأقطار الربع المسكون اسكنه الله جناته بمنه وكرمه .

وتحدث عن الخيام شمس الدين ابن محمود الشهرَزُوري في كتابه : نزهة الأرواح وروضة الأفراح فقال : رأيت الخيام وكان يتخلل بخلال من ذهب ، وكان يتأمل في الالهيات من الشفاء ـ يقصد كتاب الشفاء للحكيم ابن سينا ، فلما وصل إلى الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى ثم أوصى ، ولم يأكل ولم يشرب ، فلما صلى العشاء الاخيرة سجد ، وكان يقول في سجوده : إني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فان معرفتي إياك وسيلتي إليك » ومات بعد ذلك .

وتعلم عمر الخيام على يد كبير علماء عصره الامام موفق الدين النيسابوري امام أهل السنة في عصره .

وتحدث كثير من معاصري الخيام عنه ، فكانوا يعدونه في الحكمة ثاني ابن سينا ويصفونه بأعلم أهل الفلك في زمانه .

وقال الشيخ الطرازي ، صاحب كتاب : « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » فقال : قرأنا في بعض المراجع الفارسية والعربية أن الخيام كان رجلا دينا ذا مروءة وفضل وأنه كان لا يشرب الخمر ولا يعاقر الكأس وليس في حياته إلحاد ولا مجون .

ولكن كثيرا من الباحثين من كتاب الشرق والغرب عرفوه عن طريق ما نسبوه اليه من الرباعيات المزعومة التي وصفوها بأنها فلسفة الخيام وزعم بعضهم أنه أبيقوري النزعة والميول » وسماه بعضهم « وولتر الشرق » ، ورأى آخرون أنه إباحي وأنه مستهزىء بالاسلام وأحكامه ، وبعضهم زعم أنه دهري أو تناسخي أو جبري أو باطني وقالوا ثائر على كل شيء ، ثائر على الدين والأخلاق والعقل .

ثم قال الطرازي : إن الخيام ليس من ذلك كله والرباعيات التي نسبت إلى شخصيته البريئة ليست من مقولاته ولا فلسفته . وقد دام الظن بصحة نسب هذه الرباعيات الى الخيام أكثر من مائة سنة .

ويرى صاحب كشف اللثام أن لذلك سببين : الأول:هو تفريط الكتاب والمترجمين الذي أوقعوا عامة الشرقيين في هذا الظن ، والثاني:هو اعتماد الشرقيين على ترجمة إدوار فتزجرالد ، ذلك الانجليزي الذي ترجم الرباعيات سنة ١٨٥٦ ، ونشرها في الشرق والغرب على نطاق واسع ، ولم يفطن الشرقيون إلى ما وراء فعله هذا من أغراض مذهبية ومكايد استعمارية .

ولم يكن الخيام إلا رجل دين صحيح كما تحدث عنه علماء عصره الذين عرفوه وعايشوه .

وقد نشر الأديب التركي شمس

الدين السامي كتابه قاموس الأعلام وجاء فيه حول الخيام قوله :

« إنه لم تصح لدينا هذه الرباعيات ، يعني الرباعيات التي ترجمها فيتزجرالد ، أما الرباعيات الصحيحة فكلها يتحدث عن حكمة الله في خلقه وتكليف الناس بالعبادات وللخيام رسالة موضوعها الكون والتكليف بعضها يتضمن المعاني من الرباعيات .

وقال الأديب الكبير الدكتور شفق : إن الخيام كان ينشىء رباعياته ترفيها عن نفسه وتخفيفا لآلامه وذلك عندما يتعب إثر قيامه بحساب النجوم ، وقد ذكر ذلك الأديب العراقي المعروف عبد الحق فاضل وقال : إن الرباعيات التي نشرها إدوار فيتزجرالد تبتعد كثيرا عن أخلاق الخيام .

وأول من كتب عن الخيام من الغربيين هو « توماس هايد » أستاذ اللغتين العربية والعبرانية بجامعة اكسفورد ونشر في ذلك مؤلفا سنة « ١٨٠٠ »م ثم ترجمها بعده الفرنسي « نيكولاس » الذي كان من أعضاء السفارة الفرنسية في طهران وقد نقلها عن نسخة فارسية مطبوعة في بومباي بالهند ، وكان نيكولاس يعتقد ان عمر الخيام كان صوفيا ومشغولا بالعشق الالهي كحافظ الشيرازي وأمثاله من الشعراء المتصوفين وذلك نظراً لأن بعض الرباعيات كان يحتوي على مبادىء من التصوف .

على أن أكثر مترجمي الرباعيات شهرة بين أهل الغرب هو فيتزجرالد الانجليزي (١٨٠٩ - ١٨٨٣) ويزيد ما ترجمه فيتزجرالد على سبعين رباعية ولكنه لم يتقيد بألفاظ الرباعيات « كما ذكر الطرازي » بل إنه تصرف كثيراً في الترجمة باعترافه ، قال فيتزجرالد : إن ترجمتي ليست مطابقة لألفاظ الأصل كثيرا فقد غيرت كثيراً من هذه الرباعيات ومزجت بعضها ببعض ، وأخشى أنه ربما ضاعت ناحية من بساطة المعنى وسهولة الألفاظ التي تعد من أكبر مزايا عمر الخيام ، وهذا الرأي كتبه فيتزجرالد إلى أستاذه كاول .

ويقول الطرازي صاحب كتاب « كشف اللثام عن رباعيات عمر الخيام : إذا نظرنا إلى الرباعيات وما فيها من معان بعين التحقيق وطبقناها على ما أثبته المؤرخون من مؤلفات الحكيم النيسابوري عمر الخيام ورسائله وأقواله المنثورة والمنظومة نجد أن أكثرها - إن لم نقل كلها - لا ينطبق على مبدأ الخيام الحقيقي ومسلكه الذي سلكه في حياته ودعا الناس إليه نستطيع أن نقول بكل جرأة وثقة أنها موضوعة ومختلقة لاسم عمر الخيام ، أو نقول إنها لخيام آخر غير الحكيم النيسابوري .

فأذا ثبت عن الحكيم النيسابوري قوله في رسالة ألفها بناء على طلب فخر الملك ابن الملك المؤيد : لقد صنفت في

رسالة طالبي معرفة الله عز وجل أربع طوائف هم : المتكلمون ، والفلاسفة ، والاسماعيليون - وهي طائفة كانت معروفة في عهد الخيام وليست فرقة الاسماعيلية المعروفة - ثم المتصوفون ، وقد رجح المتصوفين على سائر المذاهب لأنهم لم يطلبوا معرفة الله عز وجل عن طريق الفكر والبحث وإنما طلبوها عن طريق تصفية الباطن وتهذيب الأخلاق فانهم نزهوا النفس الناطقة عن كدورة الطبيعة والهيئة البدنية ، ولما تنزه الجوهر ووقف أمام الملكوت ، ظهرت الحقائق فقد علم أن أي كمال من الكمالات غير ممنوع من حضرة الله تعالى ، وقد علمنا أنه إذا زال الحجاب ابتعد المانع كما يقولون ولهذا تظهر حقائق الأشياء كما هي .

إذا ثبت مثل هذا الكلام عن عمر الخيام فكيف ثبت عنه في الرباعيات قوله :

« إن جرعة من الخمر خير عندي من بلاد جم « يعني إيران » وإن رائحة الكأس أحسن من غذاء مريم ، وان تأوها سحريا يخرج من قلب السكران أحسن من مناجاة بو سعيد وأدهم ، وهما من كبار رجال الصوفية .

أو قوله في رباعية مفتراة أخرى :

نحن جعلنا خرقة الزهد على رأس الدن ، وتيممنا من تراب الحانات وذلك أملا أن نجد عن بابها ذلك العمر الذي أضعناه في الدرس .

أهذا كلام يمكن أن يقوله من قال :

أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية
عفافاً وإفطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت
لطرق الهدى من فيضي المتقاطر
فان صراطي المستقيم بصائر
نصبن على وادي العمى كالقناطر

وهل يمكن أن يتفق هذا الكلام مع قول المفترين على لسان الخيام في إحدى رباعياته « مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم » :

أيها السيد الهاشمي « يقصد الرسول » :

لماذا هذا الدوغ الحامض « وهو لبن فيه حموضة » حلال في الشرع والخمرة حرام ؟ وهل يصح أن يقوم بهداية الضالين بفيضه المتقاطر وبدعوته إلى الله ورسوله من تنسب إليه تلك الرباعيات ؟

ومن الرباعيات التي افتراها فيتزجرالد قوله :

إلى متى نتحدث عن الصلاة والصوم ، اسكر في الحانات ولو بالتسول واشرب الخمر واغتنم الحياة فبعد موتك سيصنعون من ترابك مرة كأساً ومرة قلة وثالثة كوزاً .

او : يقولون إن هناك خمراً وحوراً عينا ، وهناك خمر وعسل مصفى فأي بأس إذ نحن اخترنا الخمر والحور من الآن فالنتيجة هي هي .

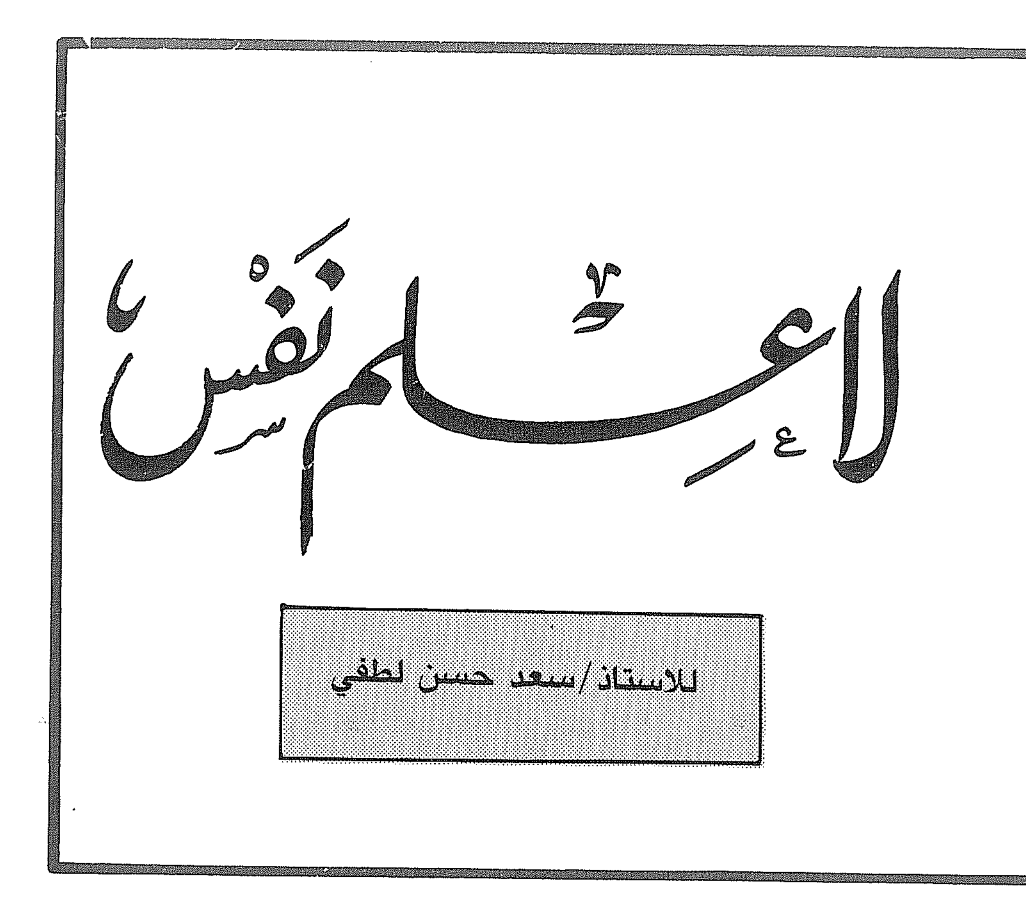
الحق أن الرباعيات المنسوبة إلى الخيام موضوعة لبعض الأغراض الدينية والاستعمارية ، وأن الخيام كان إماماً في الدين وواعظا ، ولم يكن رجل شراب ولا غوان ولم يكن ملحداً .



لا يوجد مثل كتاب الله كتاب يربى ويسعد ويشفى النفوس والأبدان . ولا عجب فالله الخالق أعلم بخلقه من أنفسهم وأعلم بما ينفعهم وما يضرهم وما يسعدهم وما يشقيهم وهو الهادي وهو الذي عليه الاعتماد .

قال تعالى : (**وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا**) النجم/٤٣و٤٤ . فهو الذي يضحك ويسعد من يشاء ويبكي ويشقي من يشاء . وهو الذى يحيى موات قلوبنا ويعلي همتنا ، فان الطموح إلى المعالي والتمسك بالمثل العليا فيه صحة النفوس وعزتها . والله هو الهادي الذي يشرح صدور المؤمنين : (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء**) الأنعام/ ١٢٥ . والصحة النفسية هي في انشراح الصدر بالايمان .

والأيمان بالله يمدنا بالقوة المعنوية



التي نجابه بها مشاكل الدنيا وهمومها ونقاوم بها الأعداء ولو كانوا متفوقين علينا في العدة والعدد . وعدم الايمان يؤدي إلى الجبن والتخاذل والخوف فتكثر الأمراض النفسية . والمؤمنون يهبهم الله الأمن ويذهب عنهم الخوف : (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) الأنعام/٨٢ . أما الكفار فيذيقهم الله لباس الجوع والخوف .

والمؤمن لا يخاف إلا الله في حين يخاف غير المؤمن من كل شيء .

والأيمان فيه الرضا عن الله ورضى الله عن المؤمن وفي هذا كمال السعادة والعافية والشفاء للروح والنفس والقلب والصدر والبدن ، وهدوء الفكر والأعصاب . أما عدم الايمان بغية السخط والتبرم بالحياة والضيق في الصدر والشقاء والتعاسة . والايمان فيه الأمل والثقة في الله وفي المستقبل وفي الجنة ، والكافر يائس قانط من رحمة الله ومن جنته والمستقبل مظلم

في نظره . والثقة في الجنة تهب الشجاعة فلا يهاب المؤمن الموت لأنه واثق من الجنة ، أما الكافر فيرعب من الموت ويحزن عند ملاقاة العدو ، لأنه يعلم أن مصيره إلى النار ، فلا يريد أن يفارق الدنيا هربا من الموت .

والايمان يجعلنا نترفع عن الدنيا ولا نحبها كحبنا لله بل نكون أشد حبا لله . وفي هذا تمام الصحة النفسية فان معظم الأمراض النفسية إن لم تكن كلها ، هي بسبب حب الدنيا أكثر من حب الله .. فيصاب الذين يحبون غير الله بالانهيارات النفسية التي قد تؤدي إلى الجنون ، بسبب فقدان حطام الدنيا أو امرأة يحبها أو وظيفة لم يستطع الحصول عليها أو فقدها .

والمؤمن عزيز النفس لا يتزعزع إذا رفضته امرأة ، فالنساء غيرها كثير ، ولا يجزع إذا إفتقر أو مرض أو مات أحبابه وأولاده . والاسلام يأمرنا باعزاز أنفسنا وعدم الذل والعبودية لمخلوق أو للدنيا ، فقال الرسول : « **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة** » رواه البخاري .

فيتحرر المؤمن من أسر الشهوات من الطعام الطيب واللباس الفاخر والذهب والفضة إمتثالا لقوله تعالى : **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)** آل عمران/ ١٤ .

والمؤمن لا يحزن أو ينتحر إذا رسب في امتحان أو فشل في حياته .

ويسقط غير المؤمن في أسر الخمور والمخدرات والنساء فيفسد عقله وأعصابه وبدنه ويفقد ماله ، ويفقد إحترامه للمجتمع كما يفقد هو إحترامه لنفسه ، ويصير ذليلا يستجدي الناس ليحصل على الخمر والمخدر ، ويكون محتقرا ، وفي هذا غاية الشقاء النفسي والعلل والاضطرابات التي لا يزيلها أطباء النفس جميعا . وليس إلا الله من يتوب على العاصي ويغفر له ويشفيه من الأمراض التي ألمت به بسبب ذنوبه . فالطبيب لا يملك المغفرة .

وعلم النفس هو محاولة لفهم النفس البشرية وليس فيه مبادىء ومثل عليا وأخلاق فاضلة . ولا يملك الطبيب النفساني ما يريده المريض من مال أو امرأة أو نجاح أو وظيفة أو غير ذلك . وهذا كله بيد الله مالك الملك ، فهو الذي يعطي المريض ما يصبو إليه فيشفي ويسر . وفوق ذلك فهو علم ملىء بالأخطاء والتناقضات والنظريات المتضاربة شأنه شأن سائر علوم البشر . فهو مادي إلحادي ينكر وجود الله وينكر الوجدان الديني كما ينكر العقل الذي يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيوانا تسيره الغرائز وحدها .. وهو أربعة مذاهب متضاربة .

● وأحد هذه المذاهب وأشهرها : يعتبر الغريزة الجنسية هي المهيمنة على كل تصرفات الانسان فيضع البشر في مرتبة أقل من مرتبة الحيوان . وهذا التفسير الخاطىء يجعل الحياة كلها خلافا حول الجنس وعلى النساء إلى درجة أن غاية الانسان في الحياة هي إشباع الغريزة الجنسية ، وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس !!

والمعروف أن الحيوانات لا تجعل الجنس همها الأول ولا تهتم به إلا وقت الحاجة للتلقيح .

ومن المؤسف أن هذا المذهب دون غيره من المذاهب هو المعمول به في التحليل النفسي والعلاج وفي التربية والتعليم مع أنه أكثرها خطأ وأبعدها عن الدين والخلق القويم فانهم يقولون أن المريض يشفى بسرعة إذا أشرفت على علاجه ممرضة جميلة ، وهذا يعتبر دعوة صريحة إلى الاباحة والتحلل من الدين والأخلاق .

ومن المسلم به أن الصحة الجنسية هي في العفة والسيطرة على النفس . بعكس ما يقول فرويد أن الصحة في الاباحة وأن الأمراض النفسية في العفة حيث تسبب ما يسميه بالكبت . وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم وأشد حزما من الاباحة . والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ، ويزيد قوة البدن أيضا ومقدرته على مقاومة الأمراض بعكس الحال عند المسرفين في العلاقة الجنسية . ناهيك عن مضار الزنا كالأمراض التناسلية الفتاكة وكثرة أبناء السفاح ، والعداء بين الناس والجيران والأصدقاء والشك وعدم الثقة في بعضهم البعض وكثير غير ذلك مما يقوض المجتمع .

ولا يعرف فائدة العفة « روحيا وعقليا وبدنيا إلا الأتقياء الذين جربوها » .

● والمذهب الثاني : يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك ، فيكون سعيدا وصحيحا نفسيا إذا كان غنيا ، ويكون مريضا نفسيا إذا كان فقيرا . وهذا مخالف للواقع والعقل ، فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله . وصحتهم البدنية والنفسية أحسن من صحة الأغنياء باجماع الآراء . والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها ، فشتان ما بين الأثنين .

● والمذهب الثالث : يجعل الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة في إرضاء الناس .

وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق . فان القوة والمكانة في المجتمع هي في إرضاء الله ولو باغضاب الناس ، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فيرضى الله الناس عمن أرضاه باغضاب الناس ويغضب الله الناس على من يرضي

الناس باغضاب الله ، وإذا أحب الله عبدا حبب فيه خلقه . والمؤمن لا يهاب الحساد والأعداء وألسنتهم السوء .

● والمذهب الرابع : يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية . فهو ينكروجود الله ويقول إن الانسان لو اعتقد في أي شيء فانه يتأثر به ، كما قال الملحدون « من اعتقد في حجر لنفعه » . وعلى هذا فيكون الدين وهما وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر ، وفي أن النافع والضار هو الله وحده .

ويلاحظ الخلاف بين هذه المذاهب حيث يفسر كل منها الانسان تفسيرا مخالفا لتفسير الاخر . ولا يمكن أن تكون كلها صحيحة جملة واحدة ، فيجب إذن رفضها جملة وتفصيلا بسبب تضاربها . كما أنه لا يجوز

التوفيق بين هذه المذاهب وإيجاد مذهب وسط ، لأن الحقيقة ليست وسطا بين خطأين .

فيجب الاعتماد على الله في شفاء النفوس فهو خالقها والخبير بها : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ . والا نكباب على تلاوة القرآن ففيه الشفاء والسعادة : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) الاسراء/ ٨٢ .

والدين فيه تهذيب الأخلاق وقواعد السلوك بين أفراد المجتمع فيكون الفرد والمجتمع في صحة نفسية كاملة ولا يوجد شجار أو إحتقار أو تكبر أو ظلم مما يسبب الأمراض النفسية .

والشخص المستقيم يسير مرفوع الرأس ومحترما ومحبوبا بين الناس ، أما الفاسق فيخاف أن تفتضح أعماله الشريرة الخفية ويكرهه الناس ويحتقرونه لمجونه ولهوه . فمن وجهة نظر الطب النفسي نرى أن الاستقامة هي أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية ، وأن الايمان بالله هو العزة والقوة والصحة ، وعدم الايمان هو أصل كل الأمراض . **وأثنى الله على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** .

والمؤمنون يتغلبون على السحر والشعوذة ولا يخافون من السحرة ولا ينخدعون فيهم . والتعليم الديني هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل ، فان ضحايا الدجالين والسحرة كلهم من المتعلمين تعليما مدنيا حتى أساتذة الجامعات ، بعكس خريجي وطلبة المعاهد الدينية الذين

يوقنون بأن السحر كفر بالله وباطل وخرافة . وتكثر الأمراض النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العداوة والشر والحقد والرغبة في المضرة .

ولا يوجد شيء يدفع النفوس إلى فعل الخير والبعد عن الشر مثل الوازع

الديني ، والطمع في رحمة الله ورضاه وجنته ، والخوف من عقابه وناره . ولا ينكر اثر الوعظ في النفوس حيث يقوم أساسا على الترغيب والترهيب ، ولا يوجد في علم النفس التربوي أو خلافه هذا الباعث الذي يجعل الناس يتسابقون ويتنافسون في أعمال الخير والصلاح . وفي الغرب حيث يسود الالحاد ، لا يجدي الوعظ كثيرا لضعف اعتقادهم بوجود الجنة والنار أو وجود الله ، وبسبب عدم حبهم لله .

أما الفضائل فكلها في القرآن ما فرط فيها من فضيلة . ويكفي منهاجا للتربية الكاملة بعض آيات من القرآن ، مثل سورة الحجرات ، وسورة الاسراء من قوله تعالى : (و قضى ربك)

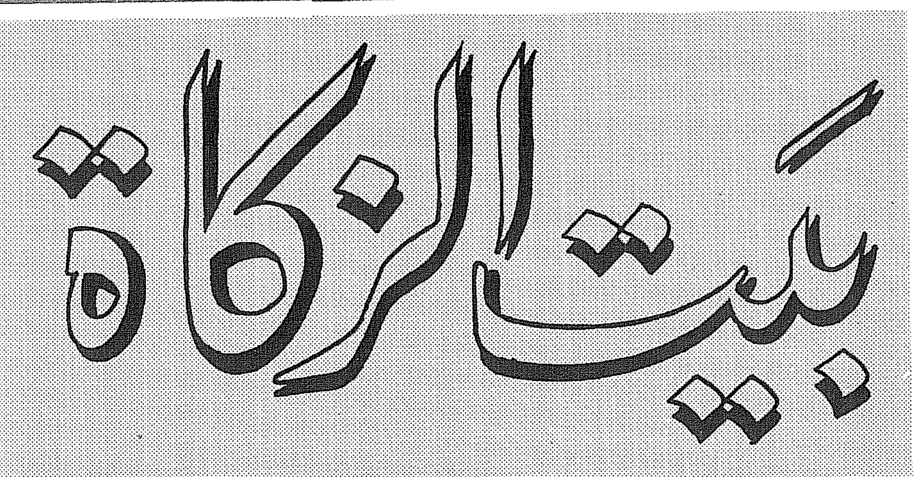
وسورة لقمان ومواعظه لابنه ، وسورة الفرقان صفة عباد الرحمن . فلو ربينا التلاميذ والأبناء على هذه القطع وحدها لكفتهم ، فما بالك بكتاب الله الذي يحمل بين دفتيه كل آية تهز الوجدان وتضيء الجوانح وتعلم الانسان مركزه ومكانته في الدنيا وأهميتهما ، والمسؤولية التي عليه في إصلاح ما في الأرض ، وتجعله سباقا إلى فعل الخيرات ، ويبعث الهمم وتحيي موات القلوب ، وتعلم المبادىء والمثل العليا والقيم الشريفة السامية ، وكل هذا لا يوجد في علم النفس ولا أي علم بشري حيث يجعل الناس غايتهم في الحياة إشباع الشهوات .

والتربية الاسلامية تنطوي على التربية الوطنية والاجتماعية ، وتحض على حب الوطن والدفاع عنه ضد المعتدي المستعمر الذي يفسد الدين والدنيا ، ويحطم المعنويات والماديات ويشيع الجهل والفقر والمرض ، ويحض الشباب على الرذائل والموبقات ويثير الفتنة والعداوات بين القبائل .

والطوائف الدينية ، ويخلق الشقاق بين فئات الشعب بكل الأسباب الواهنة .. ولا يمكن محاربة هذا الاستعمار إلا بالابتهال إلى الله ، فانه وحده الذي يلقي في قلوبنا السكينة ، ونثق في نصره .

والدين يحث على العدل والمساواة والنهضة بالفقراء والطبقات السفلى ، ورحمة الفقير والضعيف .. كما يحض الدين على العلم والتفكير .

وقد آن الأوان للرجوع إلى التمسك بكتاب الله الذي أكرمنا به ، ففيه الحضارة والهداية والعلم وصلاح الدنيا والآخرة ، ويجب أن نرفض كل ما هو غربي ، فهو إلحاد وعلوم خاطئة ومبادىء ضالة منحرفة ، ولا نسمع لقول الغربيين في ديننا ولغتنا وتراثنا .



الزكاة فريضة اسلامية فرضها الله على أغنياء المسلمين .. تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم ولها مصارف ثمانية حددها القرآن الكريم .
ومع ذلك فالناس أقسام ثلاثة في موقفهم من أداء فريضة الزكاة :
○ قسم : يعطي حق الله في ماله عن طيب خاطر .. شاكرا لله فضله .. وعارفا لكل ذي حق حقه ..
○ وقسم : يعطي القليل من ماله .. دون أن يؤدي كل المطلوب منه .. وكأنها مجرد صدقة تطوع ، فلا يلتزم بما فرضه الله عليه .
○ وقسم : امتنع عن أداء الزكاة .. لا جحدا لفرضيتها .. والا كان كافرا .. بل بخلا وشحا .. والنفس بطبعها شحيحة الا من رحم الله ..
وفي عهد الخلافة الراشدة ، وفي عصر السلف الصالح .. كانت الدولة تجمع الزكاة بواسطة « العاملين عليها » من أغنياء المسلمين .. وكانت تودعها « بيت المال » ثم تنفقها في أوجه انفاقها .. وبذلك نعم المجتمع كله بالرخاء واليسر ..
ثم مرت بالأمة الاسلامية أعوام وأعوام .. ضعف فيها الوازع الديني .. وأهملت السلطة واجبها في جمع الزكاة .. وانفاقها في سبيلها .. وصرنا في وضع أحوج ما نكون فيه الى الصديق رضي الله عنه ليقول في اصرار المؤمن : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ..
وليقول لمانعي الزكاة : والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .
ومع بدء الصحوة الاسلامية التي يعيشها العالم الاسلامي اليوم وحرص المسلمين على أداء فريضة الزكاة كما أمر الله عز وجل كان لا بد من قيام هيئة عصرية منظمة على أحدث الاسس تنوب عن الافراد واللجان المتعددة في جمع الزكاة لتكون اللبنة الاولى في قيام بيت مال

معاصر للمسلمين وبفضل الله أولا وبفضل الجهود الخيرة تم انشاء « بيت الزكاة » الذي تم تأسيسه مؤخرا كهيئة مستقلة وقد عقد أول اجتماع له بحضور كل من السادة :

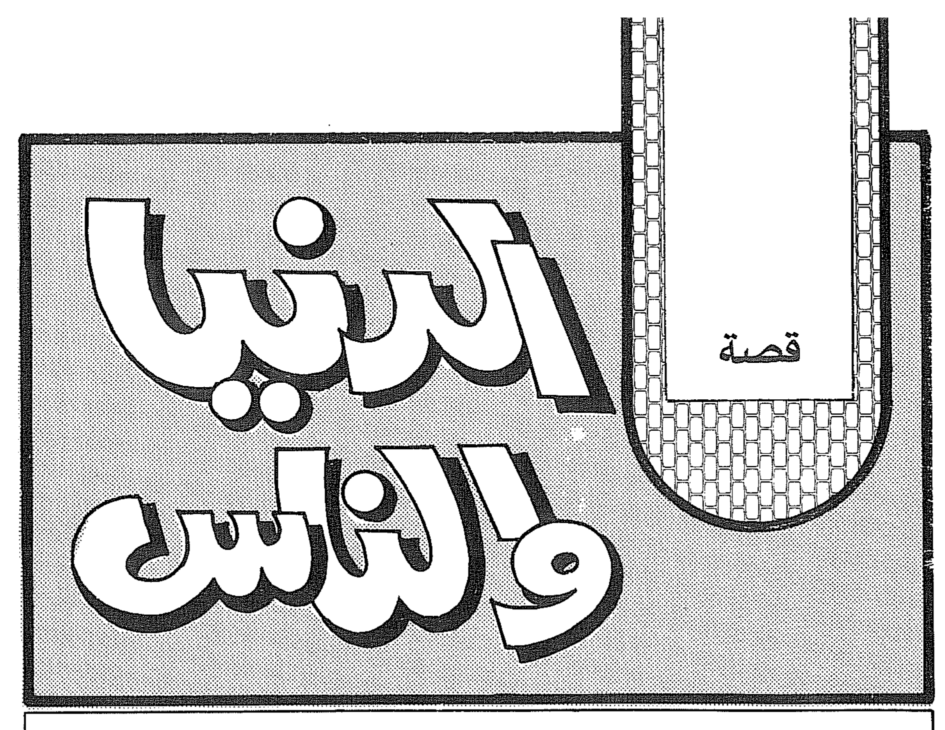
أحمد سعد الجاسر وزير الاوقاف والشئون الاسلامية .
ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .
عيسى ياسين وكيل وزارة الشئون الاجتماعية والعمل .
حمد الجوعان مدير عام المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية .
هزاع جاسم الحسينان مدير ادارة شئون القصر .
أحمد بزيع الياسين - طارق سامي العيسى - عبد الله دخيل الجسار - محمد هادي العوضي - يوسف جاسم الحجي - يوسف محمد النصف .

وقد ناقش المجتمعون مجموعة من الامور المتعلقة بدفع عجلة بيت الزكاة الى الأمام وشكلوا لجنة لوضع النظام الاساسي ولوائح العمل والشئون التنظيمية لبيت الزكاة . وفي ختام الاجتماع عقد السيد وزير الاوقاف والشئون الاسلامية مؤتمرا صحفيا وضح فيه بعض الأمور المتعلقة ببيت الزكاة حيث قال :
لقد آن الأوان لقيام هيئة عصرية منظمة تنوب عن الأفراد والهيئات والمؤسسات في جمع الزكاة وتوزيعها حسب النصوص الشرعية بعد الرجوع الى هيئة اختصاصية في الشريعة . وقد تم فتح حساب لدى بيت التمويل الكويتي تحت رقم ٥٨٠٠ - ٢ - ٠٢ لتسهيل الامر امام الراغبين في صرف زكاتهم .

وسيتم افتتاح حسابات للبيت في جميع فروع بيت التمويل الكويتي . كما سيجري تعاون وتنسيق وتكامل بين بيت الزكاة والمؤسسات الحكومية الرسمية المشاركة في مجلس ادارة البيت لتلافي الازدواجية وسيتم أيضا تنسيق وتعاون مع بيوت الزكاة القائمة في بعض البلدان الاسلامية والاستفادة من تجربتها في هذا المضمار . وسيعمل بيت الزكاة على دعم لجان الزكاة القائمة في مساجد الكويت والتعاون معها الى أبعد الحدود بما يحقق مصلحة المجتمع الاسلامي عامة . وبإمكان جهاز الوقف في وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ان يسهم بتمويل بيت الزكاة مع الأخذ بعين الاعتبار ان اموال الوقف ستصرف حسب وصية الواقف .

والوعي الاسلامي انطلاقا من واجبها الاسلامي تهيب بكافة المواطنين والهيئات والمؤسسات ان يبادروا لدعم بيت الزكاة تحقيقا لركن عظيم من أركان الاسلام فيه مصلحة المجتمع المسلم ، وبه استقراره ، وبأداء الزكاة ينتشر الحب والخير بين أفراده ويعيش الجميع حياة التكافل المثالية ..

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »



للاستاذ : محمد لبيب البوهي

كان اوغلي اعظم انسان جمع مالا وعدده في مدينة داركوك ، وكان علي حيدر افقر انسان فيها ، فاذا اردت ان تعرف كيف دارت امور الدنيا مع كل منهما فاليك هذه القصة :

★ ★ ★

كانت اكبر مشكلة تشغل بال السيد / اوغلي اغا هي مسألة الموت ، كيف يتسنى له ان يجمع ثلاثة ملايين دينار ثم يتركها ويموت ؟! لماذا اذن اجهد نفسه عشرات الأعوام ؟ ولماذا اذن ارتكب المخاطر والأهوال وغل يده الى عنقه فلم يدع دانقا من امواله ينفذ الى مسكين ؟ ولماذا اذن كان يطير النوم من عينيه اذا قيل له ان هناك فرصة متاحة في اقصى البلاد لجمع مال جديد ؟ ولماذا اذن كان يزحف النوم الى عينيه في عجلة اذا جاءه كتاب من جمعية خير تطلب معاونة في شأن من شئون الناس ؟ .

لماذا اذن كل هذا ، اذا كان الموت له بالمرصاد ..!؟ .

قرأ اوغلي اغا ذات يوم ان قيمة الانسان تتمثل في قدر ما يعطي او يبذل للاخرين ، وبما انه تعود ان يأخذ .. ويأخذ .. ويأخذ .. دون ان يفكر في اي عطاء . فقد ادرك ان الخيط الذي يصله بالناس قد اصبح مقطوعا . من اجل ذلك لم يكن السيد / اوغلي اغا يعيش مع الناس وانما كان يعيش في جو عمائره .. ومتاجره .. وسياراته .. ونواعيره ولم يكن له من صاحب او صديق .

ماذا اذن سيصنع اوغلي اغا بالمال الكثير ؟
وما معنى ان يأتي الموت فيخطفه من كل هذا ؟

لقد كان الموت هو شاغله الشاغل ، او بمعنى اكثر دقة ، الخوف منه والبحث عن مخرج ، اذا كان الموت مشكلته الكبرى اليس هناك من علاج يطيل امد البقاء !؟ اليس من طريقة وجدها العلم لاطالة العمر وتأخير الأجل المحتوم ؟ اليس هناك نظام للراحة والاستجمام .. والغذاء الجيد والرحلات .. وتدليك العضلات .. والأبحاث الالكترونية ؟ اليس من شيء من هذا كله امكن التوصل به ليضمن لاصحاب الثروات المخزونة التمتع بها الى نهاية الدهر ؟ ما فائدة العلم اذن اذا لم يكن قد ضمن هذا ؟ وماذا يفعل العلماء والالكترونيون .

لقد هز اوغلي اغا رأسه وتولى غاضبا وهو يردد : فليسقط اذن كل شيء ..

★ ★ ★

وراح اوغلي اغا يفكر في طريقة ينتقم بها من الدنيا ، ويغيظ اولئك الذين يتطلعون الى ماله ليرثوه من بعده ، وبما انه لا مفر من الموت فليأخذ الى أخراه كل ما جمع في دنياه .

وتذكر نظرية الفراعنة ، وسر بها سرورا عظيما ، كان الميت يطلب بان يدفن معه كل ما جمعت يداه .

ولما كانت ثروته عظيمة المقدار فقد جمع نفرا من المهندسين وطلب اليهم ان يقيموا له قبرا تطلى جدرانه بالذهب ويفرشوه بالسجاجيد والبسط ، ويقيموا له سريرا عليه وسائد من حرير ، حتى اذا مات السيد الوقور ونقل الى مقره الاخير ، كانت ثروته كلها قد نقلت معه .

★ ★ ★

اخذ المهندسون في بناء اروع واعظم قبر رأته داركوك ، وكان الناس يأتون من كل مكان للوقوف عن كثب ، وامتاع العين بالنظر الى القبر الذهبي العجيب . تحفة مقابر الدنيا في هذا الزمان ، وكثيرا ما كان اوغلي اغا يقف بالقرب منهم ، وهو يستمتع برؤية نظرات الحسد والتمني مرتسمة على وجوه الناس ، فقد كان منهم من يقول في نفسه : ليت لنا مثل ما أوتي اوغلي اغا ، انه لذو حظ عظيم .

واحيانا كانوا يجهرون بهذا التمني فيسخر منهم علي حيدر افقر فقراء المدينة ويتولى وهو يضحك ساخرا مما سمع ..

★ ★ ★

وذات يوم كان اوغلي اغا يتأمل قبره الذهبي ، فلما رأى علي حيدر الفقير جالسا مستندا الى حائط من جدران الضريح تغيرت نفسه واشمأزت وصاح في حاشيته قائلا :

انه لأمر معيب ومغيظ ان يقع ظل هذه الحشرة على قبري الذهبي ، احملوا هذا المخلوق والقوا به خارج داركوك . وطرد علي حيدر من المدينة ، وحرم عليه دخولها ، حتى لا يقع ظله على القبر الذهبي العظيم .

ومـرت أيـام وأيـام ، وشهـور واعوام ، وكان السائحون يأتون من بقاع مختلفة من الارض لرؤية القبر الذهبي في داركوك ، والتطلع في وقت الشروق الى القبة اللامعة وهي تتموج بلون الذهب كما يزداد المنظر بهاء حين تقع على القبة اشعة الغروب .

وذات صباح في يوم من ايام الشتاء دق ناقوس الهـاتف في دار منظم الجنازات وكان هناك صوت نسائي ناعم يتحدث في الهاتف واسرع حارس المكان الى سيده منظم الجنـازات يوقظه في عجلة . قم سيدي واستقبل اسعد ايامك ، ان السيدة رانجا امنجا هي التي تتحدث .

وهب منظم الجنازات من نومه مسرعا الى الهاتف ، ان السيدة رانجا امنجا هي امرأة اوغلي اغا ، ترى هل اقبلت الدنيا ..؟ وهل مات اوغلي اغا ؟ وحـان لمنظم الجنـازات ان يجني مكاسب اروع حفل جنائزي حين يزف السيد المبجل الى قبره الذهبي ؟.

وجاءه الصوت النسائي حزينا يردد : نعم .. لا تقل ان اوغلي اغا قد مات وانما قل انه قد انتقل الى امجاد القبة الذهبية .

قال منظم الجنازات في ادب كبير :

نعم بكل تأكيد ، وسوف تنظم اعظم الاحفال الجنائزية التي شهدتها داركوك .. سوف يكون زفافا يضرب به الامثال حين يسعى به الى قبره المكين ويوضع سيادته في اجلال تحت القبة التي تكسوها الشمس كل يوم بلون الذهب حـين الشروق وحـين الغروب .

وعاد صوت السيدة رانجا يقول : اسمعني جيدا ايها الرجل .

قـال منظم الجنازات : كـلي اذان سيدتي .

قالت السيدة ، تعلم ان اوغلي آغا عاش ايامه الارضية وهو يلقي الاوامر فيطاع وقد اوصى ان يدخل عالم القبة الذهبية طبقا لأمر اصدره ، لقد اوصى ان يوسد جثمـانه فـوق السريـر الحريري الـذي في القبر في نفس اللحظة التي تشرق فيها شمس الغد ، لا يتأخر الموعد عن ذلك دقيقة ولا يتقدم .. في نفس لحظة الشروق ، انه يريد ان يدخل عالمه في ظلال آية من آيات الكون واعلم جيدا ايها الرجل انه اذا تأخر الموعد لحظة او تقدم فسوف تحرم من اجرك الكبير الذي وعدك اياه .

★ ★ ★

حاول منظم الجنازات ان يشرح لها الامر ، فان الوفا من الناس سوف يأتون افواجا لمشاهدة هذا الحدث التاريخي الهام ، فكيف يسهـرون الليل في زمهرير هذا الشتاء ؟ وهم

ينتظرون ..
قالت السيدة رانجا في حزم :
هكذا قرر اوغلي اغا .. اعني المرحوم اوغلي العزيز . المسجي ، امامي الان فوق منضدة من ذهب وشاربه العظيم يتدلى في وقار ، وعلى شفتي جثمان سيادته علامة تصميم لارادته .
قال منظم الجنازات :
ولكن الناس .. الالوف الذين سوف يأتون ، ما ذنبهم ؟ كيف نطلب اليهم ان ينتظروا حتى مشرق الشمس ، اني اخشى ان ينصرفوا يا سيدتي فتفقد الجنازة شطرا من مهابتها .
قالت السيدة رانجا .
امر اوغلي اغا بأن يمنح كل من ينتظر حتى الشروق مكافأة قدرها خمسون دينارا ، ان زوجي المرحوم عرف كيف يسجد الناس للمال ، فأتاهم من حيث يحبون .
قال منظم الجنازات :
يا للمرحوم اوغلي اغا من بعيد النظر حكيم ..!!

★ ★ ★

وضع الجثمان في تابوته ، وشيع الى المسجد بعد صلاة العشاء واعلن المنادي ان اوغلي اغا قد اوصى بان تمنح خمسون دينارا لمن يبقى الى جوار المسجد حتى يشارك في تشييع الجنازة عند الشروق .
ولبث جمع من الناس في زمهرير ليل هذا الشتاء ينتظرون ، بعد ان وضع الجثمان في رحبة المسجد ، ولكن شيئا عجيبا قد لفت الانظار ، ذلك انه كان هناك في المسجد جثمان اخر لم يدفن بعد .
فلما تساءل الناس عن ذلك قيل لهم انه قد مات في هذه الليلة انسان لم يدر به احد ولم يحفل به انسان ، انه المرحوم علي حيدر افقر فقراء المدينة ، انهم لم يجدوا له قبرا وان جثمانه ينتظر حتى يحمل في الصباح الى قبور الصدقات .
وتلفت منظم الجنازات يمينا ويسارا ، وهو يهمس لمن حوله لا تذكروا للسيدة رانجا ان هناك صعلوكا مسجى الى جوار جثمان اوغلي العظيم .

وراحت ساعات الليل الباردة تمر بطيئة قاسية ، ولاذ الناس بالاركان يلتمسون الدفء .. وغلب عليهم النعاس واستغرق منظم الجنازات في نوم عميق وهو يحلم بالاجر الكبير فلما بدت تباشير الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر هب منظم الجنازات مذعورا يدعو الناس الى صلاة الجنازة ثم حمل الجثمان الى القبر الذهبي .

وما ان وضع التابوت في القبر وكشف منظم الجنازات عن وجه الرجل حتى كاد ان يصعق من هول ما رأى ، لقد اخطأ الناس في لهفة العجلة فجاءوا بجثمان علي حيدر افقر فقراء داركوك ليدفن في القبر الذهبي بينما حمل جثمان السيد اوغلي اغا الى مقابر الصدقات .



حديث أجرته جريدة السياسة الكويتية مع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حول : الحركات التبشيرية في افريقيا ننشره في مجلة « الوعي الاسلامي » امتدادا لحملتنا في هذا المجال ولتعم فائدته :

وبدأ مندوب الجريدة بهذه التساؤلات :

كيف تتحرك الحركات التبشيرية الان في قارة افريقيا ، وكيف يتم الوصول الى المناطق الافريقية النائية ؟ وما هي استراتيجية هذه الحركات الحديثة بخلاف الدعوة الى غير الدين الاسلامي ؟ وما هو الدور الكويتي

في هذا المجال ؟ وهل تقوم الدول الاسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة بكامل واجباتها في مكافحة هذه الحركات التبشيرية في افريقيا ؟

فأجاب عليها الاستاذ/محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة بعد ان قام مؤخرا بتوقيع عقد انشاء وتنفيذ وتشييد قرية الحنان في السودان .. وعن هذه القرية ، والدور الذي ستقوم به لخدمة الاطفال الافارقة خصوصا ابناء اللاجئين من الحرب الاريترية وغيرها .

قال الاستاذ/محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة .. سأبدأ الحديث عن قرية الحنان التي قمت بتوقيع عقد الانشاء بالنسبة لها .. ثم اتطرق للحديث عن الحركات التبشيرية وما يتعلق بها لأهميتها وخطورتها في طعن الدين الاسلامي في القارة الافريقية .

○ **حول قرية الحنان يقول :**

● لقد قمت مؤخرا بتوقيع عقد انشاء هذه القرية النموذجية في السودان .. والفكرة في حد ذاتها اكبر من الكلمات الرنانة التي تعارف عليها علماء اللغة العربية .. القرية ستتسع لـ (١٠٠٠) طفل من الذكور والاناث .. السن المسموح به في بداية الالتحاق بالقرية يبدأ من الرابعة حتى الرابعة عشرة .. مناهج الدراسة وفق ما هو متبع في الدول العربية مع تكثيف شديد في تعليم اللغة العربية واصول الدين .. يحصل الطالب او الطالبة في نهاية المرحلة التعليمية على شهادة الابتدائية .

منظمة الدعوة الاسلامية

○ **وحول الهدف من بناء القرية يقول :**

● الملاحظ ان اطفال اللاجئين الاريتريين عامة يعانون من الأحوال الاجتماعية السيئة .. وتقوم الهيئات التبشيرية وسط هذه الحاجات والظروف المتدنية بالدخول وسط المعسكرات والعمل في حل العديد من المشاكل وتقديم الخدمات التي تجعل الأطفال يلتفون حول هذه الحركات التبشيرية ويلتصقون بها باعتبارها الصورة التي تقدم لهم ما يحلمون به من طعام وشراب وملابس وخدمات . ذلك يحدث ويتم في غياب تواجد اسلامي عربي داخل هذه المعسكرات .. علما بأن اغلبية الأطفال الذين يعيشون داخل هذه المخيمات من المسلمين ..

واقول ان انتشار هذه الحركات التبشيرية يتزايد داخل معسكرات المسلمين النازحين من جراء الحروب او الحرب الاثيوبية الاريترية .. وغيرها كاللاجئين الأوغنديين والتشاديين سواء في شرق السودان او جنوبها وغربها .

○ **يواصل حديثه قائلا :**

● المشكلة الآن ان بعض اللاجئين يجري تنصيرهم .. اي تحويلهم من الدين الاسلامي الى الدين المسيحي .. ذلك يحدث في غياب تواجد عربي يرتكز على خطط مناهضة

لما تقوم به جمعيات التبشير التي اصبحت كالاخطبوط داخل القارة الافريقية وفي هذه المناسبة اشيد تماما بالجهود التي قامت بها وما زالت تقوم بها الجمعية الثقافية النسائية في الكويت ومجلة اسرتي .. فقد كان للقائمات عليهما دور ايجابي ورائد في دخول هذه المناطق في السودان بزيارة مواقع اللاجئين الاريتريين .. ومن هنا كان التفكير في انشاء هذه القرية لخدمة الاطفال وتقديم كافة الخدمات لهم من غذاء وسكن وتعليم وعلاج كله بالمجان .. ونحمد الله ان هذا الجهد وذلك المجهود تم تتويجه بانشاء قرية الحنان .

○ **يقول محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :**

● لقد قمت بتوقيع عقد انشاء قرية الحنان نيابة عن الأخوات الفاضلات وبصفتي عضوا في مجلس امناء منظمة الدعوة الاسلامية التي انشئت في السودان وبعض الاخوة من الدول الافريقية ودول الخليج العربي . ان منظمة الدعوة الاسلامية ستقوم بتقديم الخدمات لجميع الاخوة اللاجئين في السودان وافريقيا على نفس المنوال الذي تقدمه الهيئات التبشيرية .

التبشير والمواصلات الحديثة

○ **وحول منظمة الدعوة الاسلامية يقول :**

● انها منظمة خيرية مقرها الخرطوم تعمل لمساعدة المحتاجين واللاجئين في افريقيا .. ولا شك ان التبرعات ستكون جزءا هاما من تزايد نشاطها .. انني اطالب الهلال الاحمر في كل بلد اسلامي وعربي ان يثبت وجوده في هذا المجال الاسلامي الخطير .. اننا نجد الهيئات ومجامع الكنائس وهيئات الصليب الاجنبية تعمل ليل نهار وتقدم كافة امكانياتها المادية والأدبية وغيرها من اجل نجاح المهمة التبشيرية في افريقيا .. وفي المقابل يجب ان تتكاتف الجهود في البلاد الاسلامية والعربية من اجل وضع استراتيجية مناهضة لدور الحركات التبشيرية .

○ **ويقول محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :**

● التبشير في افريقيا ليس جديدا .. انه قديم منذ مئات السنين .. ولكن الجديد فيه .. تطور استعمال المخترعات الحديثة باختصار اي فترة زمنية من اجل الوصول الى اي بقعة داخل افريقيا منعزلة عن وسائل الحضارة والمدنية .. على سبيل المثال لا الحصر نجد ان الهيئات التبشيرية تستعمل الطائرات العادية والعمودية والسيارات (الجيب) والدراجات النارية والدراجات الهوائية من اجل الوصول الى التجمعات السكانية .. يواصل حديثه قائلا :

● عندما يتم الوصول الى هذه التجمعات البشرية او داخل معسكرات اللاجئين (وغالبيتهم من المسلمين او بدون عقيدة يرتبطون بها) يكون هدفهم الأول دراسة احتياجاتهم .. ثم على الفور يجري تقديم كافة الخدمات التي يحتاجون اليها على سبيل المثال : تقدم لهم خدمات طبية بالمجان .. خدمات زراعية في زراعة انواع مفيدة من المحاصيل الزراعية .. خدمات بيطرية عن طريق علاج المواشي وزيادة ما تدره من البان .. لقد وصل الأمر في بعض المناطق الى بناء مدارس وكنائس ومشروعات مفيدة .. المواطن الافريقي في هذه الحالة لا يملك سوى الايمان بهم باعتبارهم مصدر رخاء وسعادة لهم .. وهذا هو بداية الطريق الى دخول التعاليم المسيحية داخل عقولهم ..

○ **يقول محمد ناصر الحمضان :**

● الخدمات التبشيرية في افريقيا لا تقف وحدها .. جميع المنظمات والهيئات في اوروبا وامريكا تقف خلفها .. تلبي حاجاتها واحتياجاتها .. وفي المقابل لا يوجد لنا دور مؤثر .. او بمعنى اخر وجودنا في حالة (صفر) او هو اكثر من ذلك بقليل جدا .

حل المشاكل

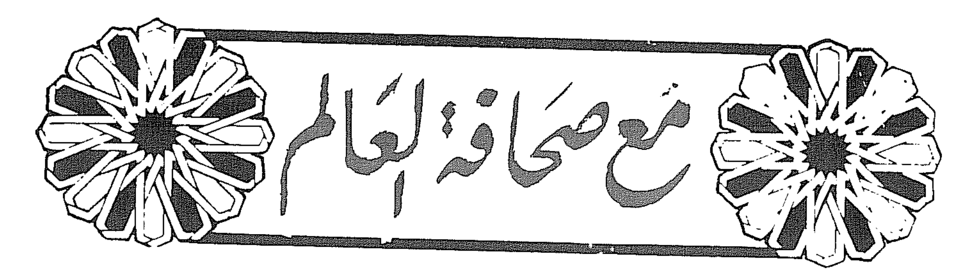
○ **وحول الطريقة المثلى (العصرية) التي يجب ان تسود ويجري اتباعها من جانب الدول الاسلامية والعربية للوقوف ضد الحركات التبشيرية والقيام بعمل اسلامي جماعي يقول :**

● اسلوب الدعوة الاسلامية داخل القارة الافريقية يجب ان يتغير انني اطالب بوجود الداعية (الواعظ) المسلم ووجود الطبيب والمهندس والطبيب البيطري .. اطالب ايضا بخدمات اجتماعية نسائية مكثفة .. انني اعتبر هؤلاء ايضا دعاة .. وهذا ما سنقوم به .. ونتبعه في منظمة الدعوة الاسلامية التي مقرها السودان الشقيق ..

○ **يختم حديثه بقوله :**

● ان دور الجمعية الثقافية النسائية الكويتية ومجلة اسرتي كان ومايزال رائدا في المجال الخيري الاسلامي انني ادعو جميع الهيئات والأفراد من المسلمين ان يقوموا باعمال مماثلة في ميادين مختلفة مثل بناء المدارس والمستوصفات والمساجد .. بل لا مانع من تقديم الماكينات والآلات الحديثة التي تساعد على الزراعة .. لأن مردودها سيعود على كل مسلم في القارة الافريقية ..

ان الحركات التبشيرية في القارة الافريقية تسير وفق استراتيجية عالمية .. ونحن يجب ان نتحرك وفق استراتيجية اسلامية عربية للوقوف ضد هذه الهجمة العالمية ضد الاسلام والمسلمين .



حقائق تكشفها الحرب اللبنانية

○ كم هي كثيرة تلك الأوهام والأكاذيب التي كشفها الغزو اليهودي للبنان والتي لا تزال وللأسف تعتلج وتعشعش في نفوس بعض أبنائنا وإخواننا العرب .

ومن أكبر هذه الأوهام اعتقاد بعضهم أن الاتحاد السوفياتي هو حليفنا وناصرنا في قضية فلسطين أولى القضايا العربية ، فهو وإن كان قد تعود أن يحل جميع مشكلاته وأزماته وتدخلاته في بقاع كثيرة من العالم بلغة القوة « التي أصبح العالم لا يعرف غيرها » إلا أنه في قضية العرب اقتصر علاجه على الطريقة العربية أي بالكلام فقط ، وذلك لأن الاتحاد السوفياتي لا يريد أن يكون عربيا أكثر من العرب ، فقد تعود هو على أن يقدم نصره الثمين إلى عمال العالم المسحوقين الذين يؤمنون بالاشتراكية العلمية وبصراع الطبقات كما يؤمنون بأن الاتحاد السوفياتي هو المخلص من هذا الصراع المرير ، ولكن يبدو أن الشعب العربي ليس من هذا النوع من المسحوقين .

كما كشف الغزو اليهودي ذلك الوهم الكبير الذي تعيشه بعض الأنظمة العربية في امكانية كسب اميركا او على الأقل تحييدها لأن زعيمة العالم الحر كما يسمونها تقبع تحت النفوذ اليهودي الاقتصادي والاعلامي والسياسي فاليهود يستبدلون رؤساء اميركا كما يستبدلون قبعاتهم والرؤساء يخافونهم ويغيرون مواقفهم تبعا لاهوائهم فهل تأمل زعماء هذه الأنظمة العربية الى تصريح « ريغان » الاخير حول الغزو حيث قال متلمسا العذر للغزاة : « انه يجب القضاء على الارهاب » أي العمل الفلسطيني . اما هيغ وزير الخارجية فقد صرح : « ان لاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها » . هكذا يفكر قادة الغرب او يهددون بأن قتل الابرياء من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وتدمير لبنان هو المصير المحتوم اذا لم تطرد المقاومة من لبنان كما طردت من باقي دول المواجهة .

وما قيل عن الولايات المتحدة يمكن ان يقال ايضا عن حلفائها الذين تعلق بعض العرب بحبال الأمل التي يرسلونها بين الحين والآخر فقد أثبت الغزو خرافة ما يسمى بالحل الأوروبيَ وإمكانية كسب تأييد أوروبا .

كما أثبت الغزو الخطورة الحقيقية للحلول السلمية مع اليهود الذين أخبرنا المولى عز وجل أنهم ينقضون العهد والميثاق ويقتلون الأنبياء ويعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وأطماعهم في استغلال الشعوب الأخرى لا تقف عند حد « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » فكيف لعاقل أن يعتقد أن بامكان شعب مسلم أن يعيش بسلام مع دولة هذه هي صفاتها وأخلاقها .

كما كشف الغزو اليهودي للبنان ذلك الضعف المهين الذي يهيمن على الدول العربية وهو الذل الذي أخبرنا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم رغم ما تذيعه الأبواق الاعلامية من تقدم وقوة وكرامة،ذلك الذل الذي منع جميع الأنظمة العربية أن تطلق الرصاص على الغازي اليهودي .

فقد قال صلى الله عليه وسلم « اذا تبايعتم بالعينية واخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلالا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم » . ولقد روى التاريخ أن المغولي كان يلقي المسلم في أبان حروب التتار فيقول له قف مكانك حتى أذهب أتي بسيفي لأقتلك فيقف المسلم حتى يأتي المغولي بسيفه ويقتله . ونحن نرى ذلك يحدث اليوم فرغم الهزائم في المعركة تلو الأخرى إلا أن الأمة العربية لا تتعلم وحكامها لا يتعظون فهم لا يعودون إلى تحكيم شرع الله ولا يعدون العدة لاستقبال الأعداء ولا ينشرون العدل والمساواة بين أفراد شعوبهم ولا يضعون المال الوفير الذي تجود به الأرض في مكانه المناسب

كما كشف الغزو لعبة المحاور التي تمارسها بعض الأنظمة العربية المتاجرة بالقضية الفلسطينية والتي تزعم أنها تتصدى للعدو الصهيوني وتصمد في وجهه بينما لم تفلح هي الأخرى فلم تحاول فعل الشيء اليسير في سبيل منع العار الذي يجري اليوم في لبنان .

كما يضع الغزو الكثير من علامات الاستفهام حول تلك التجمعات المسلحة في لبنان التي كانت تقاتل بعضها بعضا قبل الغزو ولكنها إكتفت بعد الغزو باذاعة البيانات الكاذبة عن وقوفها إلى جانب المقاومة وتصديها لقتال الغازين .

إن ما يحدث اليوم في لبنان إنما هو تعرية عامة لمسلك القائمين على شعوب هذه الأمة وثرواتها أمام العالم بأجمعه وسوف يكون وقوفهم أمام بارئهم أشد خزيـ وأعظم إذا لم يعودوا إلى دينهم وينصروا إخوانهم ولله عاقبة الأمور .

عن جريدة الوطن الكويتية

التشريع الاسلامي

يعتقد البعض ان الشريعة الاسلامية لا توافق حال العصر الحاضر ، وانها انزلت لتوافق العصور الماضية ، لذلك رأيت ان ابين أحكام التشريع الاسلامي واثبت من خلالها أن الشريعة الاسلامية الغراء توافق كل زمان ومكان .

فالقرآن الكريم لم يأت قانونا مدنيا أو جنائيا أو دستوريا حتى ترد فيه جميع التفصيلات والشروح بل جاء دستورا عاما وشاملا ثابتا لا يتغير ولا يتبدل فجاء بقواعد ومبادىء عامة مجملة دون تعرض للتفصيلات والجزئيات لأن مصالح الناس وعلاقاتهم تتغير بتغير الزمان والحاجيات ، ولو جاء القرآن بالتفصيل والشرح لجميع أحكامه لوقع الناس في حرج شديد عندما تأتي أحكامه متلائمة مع عصر دون آخر وأعطي مثالا واحدا على ذلك كنظام الشورى في القرآن الذي ورد مجملا فلو جاءت احكام الشورى مفصلة وحدد القرآن طريقة الانتخاب وشروط الناخب وأهليته الى غير ذلك ، فإن ذلك قد يتلائم مع العصر الذي ورد فيه فيصطدم بعد مئات السنين مع عصور اخرى فترك القرآن التفاصيل للناس من أولى الأمر بعد ان حدد الغاية والهدف ليختار كل الناس ما يتناسب مع عصرهم لتحقيق مبدأ الشورى .

كما أن القرآن الكريم ليس هو المصدر الوحيد للتشريع الاسلامي بل هناك مصدران اساسيان الى جانبه هما السنة النبوية الشريفة واجتهاد الفقهاء جاء بايجاد أحكام لوقائع لم يرد فيها نص في القرآن أو السنة على هدى من مبادىء القرآن والسنة ، لذلك تكونت المذاهب الفقهية المعروفة وحصل بينها بعض الخلاف وهذا الخلاف يعطي الفقه مرونة وتطورا ومسايرة للزمن كما ان الخلاف بين المذاهب الفقهية شبيهة بالخلاف بين فقهاء القانون وشراحه ولولا ذلك لرأينا جمودا في التشريع لا يتفق مع العقل وتطوره فكم من شراح اختلفوا في شروحهم والقانون واحد وكم من قضاة اختلفوا في أحكامهم والنص واحد .

فالتشريع الاسلامي تشريع كامل شامل تناول كل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة من تشريعات منظمة لجميع شئون الدين والدنيا فأحكامه

تشتمل على العقائد كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر والعبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة وكل عمل خير يتقرب فيه العبد من ربه . كما اشتملت أحكام الشريعة الغراء على تنظيم شئون الحياة في جميع المجالات ألخصها فيما يلي :-

أولا : تشريع الاحوال الشخصية :

ويشمل الزواج والطلاق والنسب والحجر والوصية والميراث والنفقات وقد بلغت الآيات القرآنية حول ذلك - حوالي ٧٠ آية منها قوله تعالى:(**ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) آية ٢١ من سورة الروم . (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**) آية ٢٢٨ من سورة البقرة . (**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين**) آية ١٨٠ البقرة .. الخ .

ثانيا : التشريع المدني :-

وهو الذي يتعلق بالعقود والتصرفات من بيع وشراء ورهن وكفالة وقد بلغت الآيات التي تنظم علاقات الأفراد حوالي ٧٠ آية منها قوله تعالى في معاملة المدين المعسر (**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**) آية ٢٨٠ من سورة البقرة . (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**) آية ١٨٨ البقرة . (**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**) البقرة/٢٨٢ (**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**) (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) .

ثالثا : التشريع الجزائي - « القصاص والحدود والتعزير »

وهذا التشريع يتعلق بالجرائم والعقوبات وعدد الآيات حوالي ٣٠ آية كقوله تعالى :(**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم**) . (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) .

آية ١٩٤ البقرة . (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**). (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) آية ٨٥ النساء .

والتشريع الجزائي في الاسلام مقسم الى قسمين **الاول** جاءت أحكامه في القرآن بنصوص صريحة وقطعية وهي القصاص والحدود كحد السرقة وحد الزنا وحد القذف وحد قطع الطريق وأضافت السنة حد الشرب .

واهم مبدأ في تطبيق الحدود هو ان لا توجد شبهة لأن في الاسلام "المتهم بريء حتى يدان " وأكد ذلك الرسول الكريم بقوله " ادرأوا الحدود بالشبهات " لأن الخطأ في العفو خير من الخطأ بالعقوبة .

أما النوع **الثاني** فهو التعزير وهو ترك أمر تقدير العقوبة لولي الامر لكل جريمة لم ينص عليها فيشرع المجتمع او الدولة الاحكام الزاجرة لها على هدى من مبادىء القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء .

رابعا : التشريع الدستوري :-

وهذا التشريع يتعلق بالحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم وبيان ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وعدد الآيات في ذلك حوالي ١٠ آيات منها قوله تعالى **(وأمرهم شورى بينهم)** آية ٣٨ من سورة الشورى .

(وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) **(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** آية ٥٨ النساء . **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)**

خامسا : التشريع الدولي :-

كأحكام الحرب والمعاهدات والاسرى وعلاقة الدولة الاسلامية مع غيرها من الدول والقرآن الكريم أول من أعلن مبدأ الكرامة والاخرة الانسانية بين الناس حيث قال تعالى **(ولقد كرمنا بني آدم)** – **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** وقال الرسول الكريم " يا معشر قريش لا يأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالانساب . " كم أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد حيث قال **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** .

سادسا : التشريع المالي :-

وهذا التشريع ينظم واردات الدولة ونفقاتها وتنظيم علاقة الافراد مع الدولة وبناء التكامل الاجتماعي بين الافراد فلا فرق بين غني أو فقير أو شريف أو وضيع ومن آيات التشريع المالي قول الله تعالى: **(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)** آية ٤١ الانفال . **(وآتى المال على حبه)** **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** آية ١٠٣ التوبة . **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** آية ٢٠٤ القصص **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)** آية ٢٩ من سورة الاسراء .

كما اشتملت الشريعة الغراء على

مبادىء وقواعد تشريعية نص عليها في الكتاب والسنة بنصوص قاطعة ثابتة منها :ـ

١ ـ مبدأ الرضا في التصرفات :ـ

ـ وجاء ذلك بقوله تعالى **(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** .

٢ ـ مبدأ وجوب الوفاء بالالتزامات :ـ

ـ وجاء ذلك بقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)**(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) . كما قال الرسول الكريم « المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما او حرم حلالا » .

٣ ـ مبدأ الجزاء على قدر العمل :ـ

ـ كقوله تعالى **(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) (ولكل درجات مما عملوا) (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون)** .

٤ ـ مبدأ شخصية العقوبة :ـ

ـ أي ان العقوبة لا توقع الا على شخص المجرم الذي ثبتت ادانته وثبت ذلك بقوله تعالى **(ولا تزر وازرة وزر اخرى)** .

(كل نفس بما كسبت رهينة) وقد اخذت بهذه القاعدة كافة التشريعات الجنائية الوضعية .

٥ ـ مبدأ المماثلة في الجزاء:

ـ كقوله تعالى :**(وجزاء سيئة سيئة مثلها) (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** .

وما هذه المبادىء والقواعد الا أمثلة لمئات المبادىء والقواعد التي وردت في القرآن أو السنة واستنبطها الفقهاء من أصولها التشريعية وبنوا عليها كثيرا من الاحكام .

تلك هي التشريعات التي وردت في شريعتنا الغراء فتناولت كل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة من تشريعات عامة وخاصة وهي تقابل بل تفوق بقيمتها التشريعية ما يعرف حاليا بالقوانين الوضعية كالقانون الدولي والقانون الدستوري والمدني والتجاري والجزائي . وها هم العلماء والمؤرخون الاجانب يشيدون بالشريعة فالعلامة شبرل عميد كلية الحقوق بفيينا يقول ان محمدا الذي تفتخر به البشرية بانتسابه اليها استطاع ان يأتي قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون نحن الاوروبيين اسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد الفي عام (الوعي الاسلامي عدد ٢٦)

ويقول المؤرخ الانجليزي ويلز ان الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية اينما سارت هي الديانة الاسلامية وان الاسلام ساد لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه وان أوروبا مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها (مجلة الوعي الاسلامي عدد ٢٠) .

وقول الفيلسوف برناردشو ان الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان .

عن مجلة حماة الوطن الكويتية

باقلام القراء

آداب الزيارة

اختار الأخ صلاح صالح يوسف خلقا اسلاميا من اخلاق الاسلام الرفيعة ليحدثنا عنه فقال لقد جاء الاسلام مبينا علاقة الفرد بربه ، وعلاقة الفرد بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجتمع ، ولقد تداخلت هذه العلاقات بعضها ببعض مما ابعد غورها في ضمير الفرد المسلم :

فالعبادة علاقة بين الفرد وربه ، ولكنها تتشعب لتصل الفرد بالفرد والمجتمع من حوله فالصلاة مثلا علاقة متينة وصلة بالله ولكنها تعتبر منهاة للفرد عن المنكر الذي هو اعدى اعداء المجتمع .

والزكاة ، عبادة من العبادات ، ولكنها تمتد لتكون أرسى قواعد الاقتصاد الاسلامي .

ولقد نظم الاسلام حياة الانسان في كل مجالاتها ،

والنظم الاجتماعية من اهم مابين الاسلام ومن اهم هذه النظم والاخلاق الزيارة التي هي من اهم وسائل التألف والتعاطف فالارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

وللزيارة في الاسلام آداب بينها القرآن ، وقد طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه واتباعه خير تطبيق .

قال تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ٢٧ ـ ٢٩ النور »

لقد جاء الاسلام حقا ومقاوما للافات الاجتماعية لا معاقبا عليها ، فهو يقطع الطريق الى ما حرم فقد حرم الزنا فحرم مثيرات الشهوة كالنظر والسمع والتميع والرقص الماجن وما الى ذلك .

وهذه الايات تحفظ للمنازل حرمتها لما تحويه من اعراض ولانها ستر للعورات فلا ينبغي لها ان تكشف .

فالايات تبين انه على الزائر ان يعرف مدى رغبة المضيف بهذه الزيارة وهذه نقطة اولية .

اما الاستئذان فهو ستر للاعراض والعورات فالاستئناس والتسليم ، تفيد الاستئذان .

ولقد كانت هذه الايات بداية لتحول

كبير في طبيعة الزيارة عما كانت عليه في الجاهلية فقد وردت بعد نزولها احاديث نبوية كثيرة تفسر اداب الزيارة .

ويبين الحديث عدم جواز النظر الى داخل المنزل الذي يقصده الزائر قبل الاستئذان حتى ان كيفية الوقوف امام باب المنزل ورد فيها احاديث .

فعن هذيل بن شرحبيل قال : « جاء رجل فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على الباب مستقبلا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عنك او هكذا فاني الاستئذان من النظر .

وعن عبدالله بن بسر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول : السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن الهستور .

وتوكيدا لحرمة المنازل ، وحفظا لعورات المسلمين ، وسترا للاعراض تتوالى النصائح النبوية حتى يأتي هذا التنفير الشديد من النظر .

(لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته - رميته - بحصاة ففقأت عينه ، ما كان عليك جناح) .

والسمع كالنظر ، فلا يحل استراق السمع لاناس دون علمهم فلا يحق لاعمى دخول منزل دون استئذان .

والاستئذان يشمل القريب والبعيد فعلى المرء ان يستأذن على امه واخواته والبنت على ابيها واخوانها .

فعن عطاء بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم (أأستأذن على امي ؟ قال « نعم » قال : « « انها ليس لي خادم غيري افأستأذن عليها كلما دخلت ؟ » قال : « اتحب ان تراها عريانة » قال الرجل : « لا » قال : « فاستأذن عليها » ابن جرير

وعلى الزائر ذكر اسمه اذا ما سأله صاحب الدار . والاستئذان يكون ثلاث مرات .

حيث قال صلى الله عليه وسلم :

« اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » البخاري ومسلم

« **واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم** »

اي بدون الشعور بالمهانة والبغض ، فلعل من تنوي زيارته مشغول بعمل لا يسمح له بمقابلتك .

ولا يعتبر الاذن من الصغير والمجنون ، بل يجب الاستئذان من كبير عاقل تعرف مسؤوليته في البيت

وعلى المسلم ان يختار الوقت المناسب للزيارة ، فلا تكون في وقت القيلولة مثلا ، حيث الناس في وقت راحتهم .

وبالنسبة للدعوة للزيارة فما ينبغي للمسلم رد دعوة اخيه المسلم بدون عذر .

وبالنسبة للمضيف عليه ان يكرم ضيفه ويلاقيه بالبشاشة والوجه الطلق .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق المسلم على المسلم ست :

★ اذا لقيته فسلم عليه .
★ واذا دعاك فاجبه
★ واذا استنصحك فانصحه .
★ واذا عطس فحمد الله فشمته

★ واذا مات فاتبعه » رواه مسلم
★ واذا مرض فعده هذا
الحديث يحوي امورا اجتماعية تعود بالتعاطف والتراحم بين افراد المجتمع .
ولا شك ان قبول الدعوة والزيارة يجلب الحب والتآلف الى القلوب .
هذا بالنسبة للاداب التي يجب ان يتحلى بها الزائر .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه » البخاري ومسلم

حتى ان على المضيف استقبال الزائر المسافر وتوفير المأكل والمنام له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)

« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ، قال : يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك صدقة »

البخاري ومسلم

ـ العيد والانسان ـ

للاستاذ / عبد الغني احمد ناجي

تشدو الخلائق أعذب الألحان فالعيد جاء ببهجة الانسان
كالواحة الخضراء في وجه اللظى تهب السرور لمدلج حيران
تمضي الشهور بعبئها وكأنها صحراء تلهب وارف الأزمان
حتي يجيء العيد في انواره وبهائه ، ومباهج الأكوان
يأتي النفوس بهالة ميمونة من بهجة الأرواح والأبدان
فيعيد للبشر المعنى جهده ونشاطه بعد الجهاد العاني
فيه الصفاء يعم آفاق النفو س فتغتدي كملائك الرحمن
« الله اكبر » للنفوس نشيدها نغم النفوس يصب في الآذان
الناس فيه تطهرت من حقدها واستروحت ظل الرضا الفينان
نبذوا الخلاف حفاوة وعبادة تركوا أوار البغض والشنآن
ما اروع الحب الذي غمر القلو ب بنوره في عيدها الجذلان
ما اروع اليوم الذي من سحره وجماله قرت به العينان
ما اروع الصفح الجميل يضمنا : قلب يصافح غيره ، ويدان

يـأيها العيد الجميل تحية من مسلمين اتوك بالاحسان
صاموا ، وصلوا للاله وكبروا مستلهمين الخير للأوطان
عبدوا الاله مخافة ومحبة هم ينشدون قوافي الرضوان
يا عيد عد عود الحبيب لخله فلعل فيك مهابط الغفران



تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –